الشككون بنهج البلاغة والبرد عليهم





المشككون بنهج البلاغة والرد عليهم

# المشككون بنهج البلاغة والرد عليهم

تاليف **علي الفتا**ل

ولازل كمجذ للبيضاء

## جميع الحقوق محفوظة الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ــ ٢٠٠٥ م



#### المقدمة

# بسبالة الزوزاتي

قديماً قيل: «من ألّف وصنّف فقد استُهدِف» ذلك القول يصدق في كل زمان ومكان.

فالذين يتعاملون مع الفكر والقلم مستهدفون أبداً، لماذا؟ لأنهم:

١ - سيطرحون آراء قد لا تتفق مع هذا وذاك من حملة
 الأقلام فتبدأ السهام تتراشق فيما بينهم.

 لا يكون هذا المفكر أو ذاك متفوقاً على بعض أقرانه فيحاول هؤلاء الأقران أن يظهروا فساد قول هذا المتفوق عليهم.
 غيرة وحسداً أو تقرباً من ذوي السلطة والجاه.

 ٣ ـ قد يسلط هذا المتفوق الضوء على بعض الظواهر المدانة التي تمس بعض من يمتّون بصلة إلى أصحاب الظواهر المدانة تلك فيحملون معاول الهدم والنيل من هذا المتفوق الذي ينشد الحق في ما يطرح بهدف قلب الحقائق وتشويهها حتى ولو كانت على حساب المبدأ والعقيدة.

وهكذا كان الإمام علي الله في انهج البلاغة. إذ لمجرد ورود خطبة أو كلام معين لا يتفق مع رأي البعض صاروا يشككون بما جاء في «النهج» هذا.

ولأنهم لا يستطيعون النيل من شخص الإمام عليﷺ فقد لجأوا إلى طرق ملتوية ومنافقة تظهر غير ما تبطن. وهذه الطرق تناولت «نهج البلاغة» تناولاً ظاهره الحق وباطنه يجأر بالباطل:

فقد شككوا في جامع النص؛ أهو الشريف الرضي أم الشريف الرضي أم الشريف المرتفى ثم راحوا يشككون في عائدية النهج نفسه فمنهم من قال إنه بعضه من قال إن بعضه للإمام وبعضه من وضع الشريف الرضي وبعضه من وضع ابن أبي الحديد. وهكذا صاروا يتخبطون خبط عشواء وهم يدركون إن ما في نهج البلاغة كله للإمام علي ولكن ما الحيلة وقد وردت فيه خطبة تمس بعض من التقوا على مبدأ الحق فحرفوه عن جادته التي رسمها لهم صاحب الدعوة الرسول الكريم محمد بن عبد الله هي وهؤلاء يسيرون في خط أولئك المحرفين.

فهم قالوا إن في «النهج» «غثاثة» لا يمكن أن يكون هذا الكلام للإمام عليﷺ وهو من «سن الفصاحة لقريش».

إنها كلمة حق يراد بها باطل.

وقالوا إن في النهج تعريض بالصحابة وعلي ﷺ "بريء» من

كلام يتعرض بالصحابة. إذن فالنهج لا يمكن أن يكون بزعمهم كله من كلام على على الله على ال

ومما قالوا أيضاً إن «الوصي» أو «الوصية» كمصطلح لم تكن معروفة في زمن الإمام علي ﷺ فهي عرفت في عصور لاحقة. ثم إن الإطناب والإيجاز ـ في رأيهم ـ لم يكن معروفاً إلاً في عصور متاخرة كالعصر العباسي.

أما دقة وصف الطاووس والنحلة والجرادة والخفاش فقد استبعدوا أن يكون هذا الوصف الدقيق للإمام علي هذا الم لم يكن معروفاً في زمانه هي.

وهكذا صاروا يفتشون في مفردات نهج البلاغة ليجدوا ما يعينهم على إبعاد نسبة «النهج» إلى الإمام الله وكلما «اكتشفوا» واحدة من تلك اللقى فرحوا بها وصاروا يفتشون عن «لقية» أخرى تعينهم على «منهجهم العلمي» هذا!! فالألفاظ الاصطلاحية التي وردت في «النهج» لا يمكن أن تكون من كلام علي الله امن كلام «فلاسفة» متأخرين عن عصر الإمام الله بقرون. وكذلك التقسيمات العددية التي وردت في «النهج» لا يمكن أن تكون حسب زعمهم ـ للإمام علي الله لأنها غير معروفة في زمانه أيضا.

أما التنبؤات والتوقعات فهي موضوعة ومنسوبة إليهﷺ.

وهكذا عابوا عليه الزهد في الحياة.

كما أنكروا الوصف الدقيق للحياة الاجتماعية في زمان الإمام ﴿ وَالوا إِنَّ الذِي ورد في «النهج» لم يكن من قول الإمام نفسه لما فيه من مصطلحات هي بعيدة عن عصره ﴿ .

ونحن في هذا الكتاب حاولنا أن نسلط الضوء على ما أوردنا من أقوال المشككين ونناقشها ونرد عليها بمنهج علمي معتمدين الحقائق التاريخية والمنطقية التي لا تقبل الطعن والرد. وقد توخينا بعملنا هذا مرضاة الله جل في علاه وإعادة الحق إلى أصحابه وتبصير من زاغوا عن طريق الحق إما جهلاً منهم أو عناداً. بهدف أن يعودوا إلى جادة الصواب فيتخذوا من شخصية الإمام ﷺ مثلهم الأعلى في مناصرة الحق ومحاربة الباطل وبذلك نكون كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضنا بعضاً فنقف بوجه من يحاولون جاهدين حرفنا عن الدين الذي جاء به الرسول الكريم محمد بن عبد الله الله الله تعالى ليخرجنا من الظلام إلى النور ـ كمقدمة ـ للقضاء على هذا الدين الحنيف الذي وجدوا فيه النور الذي تعشو منه أبصارهم. عسى أن نكون ممن ساهموا في وضع الحقائق في نصابها فإن استطعنا فمن الله التوفيق وإن أخفقنا فنسأله جل شأنه أن يغفر لنا وأن يسدد خطانا لما فيه نصرة ديننا الذي ارتضاه لنا إنه هو القدير المكين ومنه نستمد العون و التمكين.

علي الفتال ٥/١٠/١٠

## المبحث الأول

### المشككون بنهج البلاغة

إذا ما رجعنا إلى سيرة الشريف الرضي سنعرف أنه هو الذي جمع مفردات «النهج» وذلك في ٤٠٠ه ولكن ثمة من نسب جمع النهج إلى الشريف المرتضى، أخي الرضي، من هولاء جورجي زيدان (١٠) إذ قال «والصحيح إنه من جمع الشريف المرتضى»، وكذا قال بروكلمان (١٠)، أما شوقي ضيف فقد قال في كتابه (تاريخ الأدب العربي \_ العصر العباسي/ ١٦٨): «إن اعتراف الشريف الرضي بجمعه (النهج) دليل على وضعه إياه، وبذلك قد خلط بين الوضع والجمع».

في الحقيقة إن تلك الأقوال لا تريد التشكيك في من جمع (النهج) بقدر ما تريد التضبيب حول عائدية (النهج) أصلاً، إلى الإمام علي ، وذلك للتقليل من شأنه وشأن أمير المؤمنين .

والمسألة قديمة؛ إذ أن خصومه ١٠٠٤، منذ بزوغ نجمه ـ

<sup>(</sup>١) تاريخ آداب اللغة العربية ١/ ١٨١ و٢/ ٢٨٨.

<sup>(</sup>٢) تاريخ الأدب العربي ٢/ ٦٤.

سواء في الغزوات والحروب في بدء الدعوة الإسلامية وفي تقريب النبي محمد الله إياء قولاً وعملاً - أخذوا ينالون منه بوسائل شتى النبي محمد الله و مبطنة، ويرجع تاريخ تلك الخصومة والعداء إلى يوم غدير خم، الذي رفع الرسول الكريم فيه علياً إلى وقال: "من كنت مولاه فهذا على مولاه اللهم والى من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. أو قبل ذلك يوم زرّجه ابنته فاطمة الزهراء ومن حلال أحاديث الكثيرة في حق فالامام الله كقوله وأول من يدخل الجنة محبك، وأول من يدخل النار مبغضك، وأول من يدخل النار مبغضك.

وقد أحس خصوم الإمام بأنه سيكون له شأن في البنيتين الفوقية والتحتية للهيكلية الإسلامية فصاروا ينالون منه بطرق خبيثة، حتى في زمن النبي أو بعده، ففي زمن النبي أن نذكر الرواية التي تقول؟ إن الرسول بعث علياً في سرية ليقيض المخمس فاصطفى منه سبية؛ واتفق أربعة من شهود السرية أن يبلغوا ذلك رسول الله منه متعاقبين واحداً بعد واحد في قول واحد، فلما فرغ الرابع من حديثه أقبل عليه رسول الله وقد تنتير وجهه، فقال هما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ ما وتريدون من علي؟ علي مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن وموجعته،

وقال لأحدهم: أتبغض علياً ؟ قال:

\_ نعم.

قال ﷺ:

ـ لا تبغضه، فإن له الخمس أكثر من ذلك، أي أكثر من السبية التي اصطفاها. . لا تبغضه وإن كنت تحبه فازدد له حبًا».

والرواية التي تقول: إنه عن الإمام علياً إلى اليمن فسأله جماعة من أتباعه أن يركبهم إبل الصدقة ليريحوا إبلهم فأبى فشكوه إلى رسول الله ه بعد رجوعهم، وتولى شكايته سعد بن مالك الشهيد، فقال:

ـ يا رسول الله، لقينا من علي الغلظة وسوء الصحبة والتضييق. . ومضى يعدد ما لقيه، حتى ضاق به الرسول ذرعاً فهتف به، وهو في أثناء كلامه:

ـ يا سعد بن مالك الشهيد، بعض قولك لأخيك علي، فوالله لقد علمت أنه جيش في سبيل الله.

وفي رواية أخرى قالﷺ للشاكين من الإمام علي ﷺ:

ـ أيها الناس لا تشكو علياً إنه لجيش في ذات الله.

والرسول في كان يعلم أن ثمة من يضمر العداوة والبغضاء للإمام علمي حسداً له من قربه من ابن عمّه في فكان رسول اله في يؤكد ـ كما يقول إبن عباس ـ لهم منزلته العالية في الدنيا والآخرة في قوله:

- أنت سعيد في الدنيا وسعيد في الآخرة، من أحبّك فقد أحبّني، وحبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله، طوبي لمن أحبّك والويل لمن أبغضك».

وبعد زمن النبي ﷺ صاروا يقلبون الحقائق ويحوّرون الكلم

بِما يقلَّل من شأن الإمام علي ﷺ؛ فقد روى البخاري أن رسول الله ﴿ وجده (أي علياً ﷺ) في المسجد نائماً وقد ترب جنبه فجعل يمسح التراب عن جنبه ويقول:

ـ قم يا أبا تراب.

ويرى العلامة محمد صادق الصدر إن كلمة (أبو تراب) كناية عن كثرة عبادته وصلواته، لأن المسلمين في السابق كانوا يسجدون على التراب، وكان الإمام علي الله الجبين لكثرة ما يسجد. فقوله: (قم يا أبا تراب) على حد قوله: (قم يا كثير العبادة).

وقد كانت هذه الكنية من احب الكنى إليه ﴿ إَذَ كَانَ كُثْيُراً ما يدعوه بها.

ولكن معاوية بن أبي سفيان، ومن حوله أحسّوا برفعة هذه الكنية وميزة صاحبها، فأخذوا يموّهون على الناس بأن سبّوه بها على المنابر مظهرين أنها منقصة له'''.

كانت تلك البدابة؛ إذ بدأوا بشخص الإمام على فنالوا منه ما يشاؤون ليأتوا إلى معطياته الجهادية والأخلاقية والفكرية والإبداعية فيحقوا من قدرها ويقللوا من شأنها، فلا غرابة - إذن - إذا من ام قرأنا، هنا وهناك، وفي هذا العصر أو ذاك، تشكيكاً في عائدية "النهج» إلى الإمام علي في أو الطعن في بعضه بطريقة مبطئة كتبطين كلمة الحق يراد بها الباطل. فظهرت الأصوات

<sup>(</sup>١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١/٤.

صربحة مرة وميظّنة أخرى وخفيّة تارة وصارخة حيناً؛ فـ «محمود محمد شاكره يرى إن `` ح البلاغة» موضوع وملفّق على الإمام علىﷺ «لأنه كلام كثير مثانة»('').

تلك غمزة لم يكن محمود محمد شاكر وحده قد غمز بها «النهج» وصاحبه، فقد شاركه بها ـ وبطريقة أكثر ضلالاً ـ الدكتور شفيع السيد. فكتب يقول<sup>(۱۲)</sup>:

 فضلاً عما اشتهر به الإمام من بلاغة القول ورصانة العبارة، على نحو لا تستبعد معه نسبة تلك النصوص إليه من حيث تركيبها اللغوي وتشكيلها البياني،

لا شك أن القارىء الكريم قد لفتت نظره عبارة «لا تستبعد نسبة تلك النصوص إليه .. . إذن فهو يشكك بنسبتها إليه الله الله ولكنه لا يستبعد ذلك، ليس هذا فحسب بل إنه يذهب إلى غمزة أخرى للنيل من "النهج» وصاحبه إذ يقول الدكتور شفيع السيد عن الشعة:

ان بعضاً منهم غالى في تقديره له (أي للإمام علي هيا) حتى رفعه إلى مستوى من اصطفاهم الله بالوحي، ومن هؤلاء الرضي نفسه في مقدمته للكتاب، فقد علل سبقه ـ رضي الله عنه ـ في مضمار البيان وتفوقه على كل من عداه من الخطباء والبلغاء؛ بأن كلامه هي الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه

<sup>(</sup>١) مجلة الكاتب المصرية العدد ١٧٠ مايو ١٩٧٥م/ ٣٠ ـ ٣١.

<sup>(</sup>٢) مجلة الهلال العدد ١٢/ السنة ١٩٨٣/ ٩٥.

عيقة من الكلام النبوي، (١٠ وعد ذلك غلواً من الشيعة . وقد نسي الدكتور شفيع السيد وغيره ، ممن هم على شاكلته في نمط التفكير ؛ أن الرسول في نفسه كان يقول: إن النظر إلى وجه على عبادة - وقد نقلنا ذلك في مبحث فائت من هذا الجزء - ونسي - هو وغيره - قول الرسول الكريم في لعبد الرحمن بن عوف: "يا عبد الرحمن أنتم أصحابي وعلي بن أبي طالب مني وأنا من علي ، فمن قاسه بغيره فقد جفاني ، ومن جفاني آذاني ، ومن آذاني فعليه لعنة ربي ، يا عبد الرحمن إن الله أنزل علي كتاباً ميناً وأمرني أن أبين للناس ما أنزل إليهم ما خلا علي بن ابي طالب فإنه لم يحتج إلى بيان لأن الله تعلى جعل فصاحته ودرايته كدايتي » .

لا أدري ماذا يقول «السيد» وغيره في «ما خلا» وفي «لم يحتج إلى بيان» وفي «درايته كدرايتي»؟ فأيهما «غالى» أكثر الشيعة و ونهم الرضي في «مسحته» و«عبقته» \_ أم الرسول في ما نقلنا؟.

إن قليلاً من التأمل وقليلاً من الركون إلى الحق وقليلاً من الخروج إلى دائرة الضوء تجعلهم يقولون الحق وينظرون إلى الاثبياء بمنظار الحق والإنصاف فلا يغمزون ولا يلمزون. إن علي ابن أبي طالب عربي وإنه إبن عم الرسول وكاتب وحبه وربيب بيته ورفيقه في حله وترحاله، أكثير على كلامه أن تكون فيه «مسحة العلم الإلهي وعبقة من الكلام البوي، ألا يدعو ذلك إلى الفخر أم عربياً ومربعاً من الرسول هي يحمل إلينا هذا المعطى

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه/ ٩٥.

العظيم والفكر الخلاق في بلاغة وفصاحة ومنهج علمي ثابت، وينبري عربي آخر، بل ومسلم؛ ومن البيت نفسه إلى جمع هذا المعطى في كتاب أسماه "نهج البلاغة" أليس ذلك مما يجب ان نفخر به؟ لا أدري لم هذا التشكيك؟ هل لأنه يحمل إسم الإمام علي الله على الله حظي بما لم يحظ به أي كتاب قبله وبعده من اهتمام المؤلفين والشراح؟

وقد بلغت شروحه (٧٥) شرحاً بقول الأميني في غديره (١) (١٩١) شرحاً بقول الشيخ عبد الزهراء الخطيب الحسيني (٢). ولم تقتصر الشروح تلك على الشيعة، بل كان معظمهم من غير الشيعة. وليس كما ذهب الدكتور شفيع السيد إلى القول «إن معظم شراح «فهج البلاغة» هم من الشيعة (٣)

لنترك قول الشريف الرضي ولنقرأ قول الشيخ محمد عبده، الذي هو ليس (شيعيًا) ولا من (أهل البيت)، إذ يقول: "وليس في أهل هذه اللغة إلاّ قائل بأن كلام الإمام علي بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله وكلام نبيه، وأغزره مادة وأرفعه اسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني "<sup>(2)</sup>.

أما الدكتور زكي نجيب محمود، وهو مثل الشيخ محمد عبده في المذهب، يقول:

<sup>(</sup>١) الغدير ٤/١٦٤ ـ ١٦٩.

<sup>(</sup>٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده. لعبد الزهراء الخطيب ٢٤٨/١ و٣١٣.

<sup>(</sup>٣) مجلة الهلال العدد ١٢/ ١٩٨٣/ ٩٦.

<sup>(</sup>٤) من مقدمة نهج البلاغة شرح محمد عبده ١/٥.

ونجول بأنظارنا في هذه المختارات من أقوال الإمام علي التي اختارها الشريف الرضي (٩٧٠ - ١٠١٦ م) وأطلق عليها (نهج البلاغة)؛ لنقف ذاهلين امام روعة العبارة وعمق المعنى، فإذا حاولنا ان نصنف هذه الأقوال تحت رؤوس عامة تجمعها؛ وجدناها تدور - على الأغلب - حول موضوعات رئيسة ثلاثة، هي نفسها الموضوعات الرئيسة التي ترتد إليها محاولات الفلاسفة قديمهم وحديثهم على السواء ألا وهي: الله والعالم والإنسان.

إذن فالرجل - وإن لم يتعمدها - فيلسوف بمادته، وإن خالف الفلاسفة في أن هؤلاء قد غلب عليهم ان يقيموا لفكرتهم نسقاً يحتويها على صورة مبدأ ونتائجه، وأما هو فقد نثر القول نثراً في دواعيه وظروفهه(۱)

في الحقيقة إن بذرة التشكيك بذرها إبن خلكان إذ قال عن «نهج البلاغة»: «إنه ليس من كلام علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعهه<sup>(۱)</sup>.

وأيده في ذلك الصفدي في الوافي بالوفيات<sup>(٣)</sup>، واليافعي في مرآة الجنان<sup>(٤)</sup>، وإبن حجر في لسان الميزان<sup>(٥)</sup>.

يبدو أن بذرة إبن خلكان قد نمت وصارت شجرة ولكنها

<sup>(</sup>١) المعقول واللامعقول في التراث العربي/ ٣٠.

<sup>(</sup>۲) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٢.

<sup>(</sup>T) المصدر السابق نفسه Y/ ۳۷۵.

 <sup>(</sup>٤) المصدر السابق نفسه ٣/ ٥٥.

<sup>(</sup>٥) المصدر السابق نفسه ٢٢٣/٤.

شائكة فتمياً في ظلالها بعض كتابنا الذين عز عليهم أن يكون علي ابن أبي طالب على على ابن أبي طالب على المدون أبن أبي طالب على المواد و أبوال إبن خلكان وغيره ممن تابعوه من القدماء؛ فجرجي زيدان يقول: "إنا كنا نرى أن كثيراً من تلك الخطب ليس لعلي بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعاني لعصره (١٠٠٠).

وظل شوقي ضيف يتأرجح في كلامه "يبدو أن النهج قد دوِّحه» فراح يخبط خبط عشواء؛ فمرة يقول: "إن علياً قد خلف خطباً كثيرة» واخرى يقول: "إن ـ النهج ـ من وضع الشريف الرضي» ولكي يعزز قوله هذا ويدعمه يقول: "إن الوضع على علي أقدم من عصر الشريف بل من عصر المسعودي».

أية «حزّورة» هذه التي «حزرها» شوقي ضيف؟

أما محمود محمد شاكر فقد قال: وهو يرد على قول الدكتور زكي نجيب محمود، "لننظر كم اجتمع في هذا الرجل (يعني الإمام علي (يه من أدب وحكمة وفروسية وسياسة، قال محمود محمد شاكر: "ألم يكن أسلم له في طريقة (ويريد الدكتور زكي نجيب محمود) أن يسأل وأن يحاول أن يفكر على الأقل حتى يتثبت من صحة نسبة ما في هذا الكتاب من الأقوال إلى علي رضي الله عنه؟ إنه إذا بطل أن يكون هذا الكلام صحيح علي رضي الله على، كان استخراج صورة علي منه ضرباً من الميش، (1).

<sup>(</sup>١) تاريخ آداب اللغة العربية ٢/ ٢٨٨.

<sup>(</sup>٢) مجلة الكاتب العدد ١٥، ١٥ مايو ١٩٧٥/ ٣٠.

ولكن محمود محمد شاكر هذا لم يكتفِ بما قال إذ أراد أن يؤكد شيئاً آخر في نفسه ظل يتغرغر به زمناً طويلاً فقال: «إن النظرة الأولى إلى جملة ما في الكتاب من الكلام، تقطع بأن كثرته الكاثرة لم تجرِ على لسان علي رضي الله عنه إلا أقل من العشر..."(١).

وهنا سيتنفس محمود محمد شاكر الصعداء بعد أن يؤكد اإن إبن سلام عندما شرح غريب ما في النهج لم يكن فيه من كلام علي ﷺ ربع من حديث عمره (<sup>۱۲)</sup>.

وهنا خرجت الغرغرة وارتاح الرجل لهذه المقارنة التي جهد لها في مقاله، فـ «ربع حديث عمر» هي ركيزة المقال ومقصوده.

وعلى غرار بعض الكتاب الذين يوردون جملة من الأدلة أو الأمرر، ولما لم يكن في حوزتهم شيء آخر يقولونه ختموا ذلك النعداد بقولهم: "وغيرها وغيرها" أو اوسا إلى ذلك" أو "الخر...". وهكذا فعل محمود محمد شاكر وهو يحاول، جاهداً تأكيد بطلان "كون ما في النهج له (علي بن أبي طالب على الفقال: "وهناك أدلة أخرى على بطلان نسبة ما في هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين" لأنه عجز أن يورد «أدلة أخرى» كأنه أدرك أن ما أورده من «أدلة» لم تقم حجة على "بطلان» نسبة ما في النهج إلى الإمام بل قامت دليلاً على بطلان كلامه هو، وأعني كلام محمود

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه/ ٣٠.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق نفسه/ ٣١.

<sup>(</sup>٣) المصدر السابق نفسه/ ٣١.

محمد شاكر، ولأنه أدرك ذلك أراد أن "يستغفر" لنفسه ويكفر عنها هذا الخطأ في المنهج "العلمي" في تناول موضوعات كهذه أسرع إلى القول، ولكنه قول مبطن أيضاً فقال: "فكتاب كهذا الكتاب، يدل صريح العقل والنظر وصريح النقل والتثبت على أنه كتاب قريب النسب.."(١)

وممن يعني هذا القرب بالنسب؟ هل من الإمام علي ﷺ أم من الشريف الرضي رحمه الله؟.

هكذا الخلف؛ قوله ليموّه على القارئ، في نظره. ومع ذلك فإنه يؤكد أنه الخان غير لائق باللدكتور زكي أن يتسرع إلى التقاطه دون أن يفحصه ويتحرى عنه فيجعل ما فيه من كلام كثير الغثائة ـ وقد كتب أكثره بعد دهور متطاولة ـ ممثلاً لعلي بن ابي طالب وممثلاً للقرن الأول من الهجرة، (<sup>(7)</sup>).

سامحك الله يا رجل. . ! إنك أردت ان تُعرف بين الناس كه «كاتب» و"باحث» و"أديب» و"محقق» فشهرت سيفك هذا ولكنه كان سيفاً نابياً فصرت كالبائل في بثر زمزم. . ونحن نقول لك:

«ما هكذا تورد ـ يا سعد ـ الإبل».

إذ إنك أردت أن تتواصل مع إبن خلكان في تشكيكه بصحة نسبة النهج إلى الإمام علي على الكناث، وابن خلكان وغيركما كثير، ركبتم افراساً كبت وشهرتم سيوفاً نبت، فبقيتم في

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه/ ٣١.

<sup>(</sup>Y) المصدر السابق نفسه/ ٣١.

صحرائكم تلهنون وماء زمزم تنشدون، حتى قيض الله لكم من يرشدكم أن بتر زمزم لا يجعل من أيِّ منكم «رسولاً» كمحمد بن عبد الله و لكنكم بقيتم تغطون وجوهكم بغربال لئلاً ترون شمس الحقيقة، وإلا ماذا يعني قول الدكتور شفيع السيد إن «نسبة الشريف الرضي - جامع الكتاب - إلى البيت العلوي . . يمكن أن تكون مدعاة للشك ودافعاً إلى الإنهام بالتحيز والتعصب . وقد قال عنه بعض واصفيه: كان شاعراً مفلقاً فصيح النظم ضخم الأنفاظ . . وكان مع هذا مترسلاً كاتباً بليغاً مين العبارات، فمن اليسير على مثله إذن أن يؤلف من الكلام ما يشاكل كلام علي رضي الله عنه في جزالة الألفاظ ومتانة السبك (1).

إن الدكتور شفيع السيد مثل «ربعه» يغالط نفسه، بل يدينها من فمه، كيف؟

إذا كان يعترف أن الشريف الرضي «شاعر مفلق» و«فصيح النظم» و«ضحم الألفاظ» و«كاتب بليغ» و«متين العبارة» فماذا يمنعه أن ينسب ما في النهج إلى نفسه ليحلق بشهرته في سماء الادب والفكر أكثر؟ نحن نعرف، والدكتور يعرف أن ثمة من ينشدون الشهرة يسطون على هذا العمل الإبداعي أو ذاك لينسبوه إليهم لأنهم قاصرون أن يأتوا بمثله. ونحن قد اعترفنا بعدم قصور الشريف الرضي، بل وتمكنه من ادواته، فما الداعي أن ينسب كلاماً لنفسه وهو لغيره؟ هذه أول إدانة للدكتور الفاضل..! وثاني إدانة أنه اعترف أن كلام الإمام علي على يتسم به «جزالة اللفظ

<sup>(</sup>١) مجلة الهلال العدد ١٢ السنة ١٩٨٣/ ٩٥ ـ ٩٦.

ومتانة السبك، إذن، إذا كان ما جاء به الشريف الرضي اجزل الله ومتين السبك، فما يمنع أن يكون للإمام علي هجال بل أليس الاقرب والأكثر معقولية أن يكون له من أن يكون للرضي رحمه الله؟ سيما ونحن نعرف مكانة الإمام علي الفكرية والأدية، وقد مر بنا شيء منها كثير لا يقبل الطعن.

ولكنه بثر زمزم. . ! يا له من بئر مغر قصّاده الواهمين. . ! الحاملين على أكتافهم مقولة : (خالف تُعرفُه.

لعلهم وجدوا خيطاً هنا وخيطاً هناك فشدوا أنفسهم بهما وحتى وإن كانا من خيوط العنكبوت، ليتأرجحوا فيراهم الناس ويذلك يحققون الشهرة التي يريدون والمجد الذي ينشدون. وكان أحد الخيوط العنكبوتية ما ذكره ابن أبي الحديد وهو يختم «شرح الهداخة» بكلمات حكيمة قصار، إذ قال: «ونحن الآن ذاكرون مشهور عنه، وبعضه ليس بذلك المشهور ولكنه قد روي عنه وعزي إليه، وبعضه من كلام غيره من الحكماء لكنه كالنظير المحكمة نافعة رأينا أن لا نخلي هذا الكتاب متضمناً فنوناً من والتتمة لكتاب «نهج البلاغة»، وربما وقع في بعضه تكرار يسير شذ عن أذهاننا التنبه له لطول الكتاب، وتباعد أطرافه، وقد عددنا كله كلمة كلمة فرجدناها ألف كلمة ". فراحوا يشككون بالنهج كله يدعون بأنه ليس من كلام الإمام علي .

شرح النهج ٤٢٠/٤.

وبذلك حاكوا ابن خلكان الذي بذر بذرة التشكيك الأولى ـ
كما ذكرنا \_ إذ قال في وفيات الأعيان ٣/٣: «وقد اختلف الناس
في كتاب نهج البلاغة المجموع من كلام الإمام علي رضي الله
عنه، هل جمعه أم جمع أخيه الرضي؟ وقد قيل إنه ليس من كلام
علي، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه».

كما حاكى ـ من قبل ـ كل من الصفدي في «الوافي بالوفيات» واليافعي في «مرآة الجنان» وابن حجر في «لسان الميزان» وغير أولئك من القدامى والمحدثين منهم الذهبي في «ميزان الاعتدال ١٠٠/١٥» في ترجمة الشريف الرضي: إنه هو المتهم بوضع «نهج البلاغة»، ثم قال: «ومن طالع كتابه «نهج البلاغة» جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي، فقيه السب الصريح، والحط على السيدين أبي بكر وعمر.. الخ».

ومنهم محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته لشرح النهج إذ يقول:

اإن في الكتاب من التعريض بصحابة رسول اله الله الله الله الإمام علي
 أن يصح صدوره عن مثل الإمام علي

وأنكر آخرون أن يكون النهج للإمام علي الله بسبب ما فيه من ذكر «الوصي والوصاية! ( ) أو طول بعض الخطب والكتب، كالقاصعة والأشباح، وعهد مالك بما لم يك مألوفاً في صدر الإسلام ( ) .

<sup>(</sup>١) أثر التشيع في الأدب العربي/ ٦٦.

 <sup>(</sup>٢) المصدر السابق نفسه/ ٥٦ والإمام علي لأحمد زكي صفوة/ ١٣١.

والسجع قام دليالاً آخر \_ عندهم \_ على عدم نسبته إلى الإماضية إلى الإماضية إلى الإماضية إلى الإماضية إلى الإماضية الماضية الماضية بعد العصر الجاهلي وصدر الإسلام وافتتن به أدباء العصر العباسي، والشريف الرضي جاء من بعد ذلك على ما ألفوه فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم، (1).

ليس ذلك فحسب بل الوصف ودقته دليلهم الآخر على ذلك الإكتشاف «الذرّى» إذ أن «فيه استفراغ صفات الموصوف، وأحكام الفكرة، وبلوغ النهاية في التدقيق كما تراه في وصف الخفاش والطاووس، والنملة والجرادة، وكل ذلك لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول، ولا أدباؤه ولا شعراؤه، وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحكمية، ويدخل في هذا استعمال الألفاظ الإصطلاحية التي عرفت في علوم الحكمة من بعد، كالأين والكيف ونحوهما، وكذلك استعمال الطريقة العددية في شرح المسائل، وفي تقسيم الفضائل أو الرذائل مثل قوله (ويعنى الإمام على ﷺ ): «الاستغفار على ستة معانِ» و«الإيمان على أربع دعائم» «والصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شُعب (٢). و (علم الغيب كان ركيزتهم الأخرى في هذا الاكتشاف، لأنهم وجدوا في الكتاب ما يُشَم منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب، وهذا أمر يجل عن مثله مقام علي ومن كان على شاكلة على ممن حضر عهد الرسالة، ورأى نور النبوة (٣).

<sup>(</sup>١) مقدمة محمد محيى الدين عبد الحميد لشرح النهج.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق نفسه.

<sup>(</sup>٣) المصدر السابق نفسه.

ثم ماذا بعد هذا؟ هل انتهى ما في جعبتهم من «أدلة. . !»؟

كلا، فهم أخذوا عليه هما فيه من الحث على الزهد، وذكر الموت، وقرض الدنيا على منهاج المسيح (( ووصف الحياة الاجتماعية على نحو لم يُعرف إلا في عصور متأخرة، ترى في هذه الخطب طعناً شديداً على الوزراء والحكام والولاة والقضاة والعلماء في السلوك والأخلاق، وفي الذمم والضمائر، واصفاً القضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة (().

ثم إن بعض ما رُوي عن علي في (نهج البلاغة) عن غيره في غيره، كقوله:

"كان لي فيما مضى أخٌ عظّمه في عيني صغر الدنيا في عينيه". وهذا مرويّ عن ابن المقفع. وكقوله: "الدنيا دار مجاز..» يُروى لسحبان وائل<sup>؟؟</sup>.

وأخيراً: اخلو الكتب الأدبية من كثير مما في (نهج البلاغة)!!).

أنظر التشيع في الأدب العربي/ ٦٠ ـ ٦١.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق نفسه/ ٦٦.

<sup>(</sup>٣) ترجمة علي بن أبي طالب ـ أحمد زكي صفوة.

<sup>(</sup>٤) المصدر السابق نفسه/ ١٢٢.

# المبحث الثاني

#### الرد على المشككين بنهج البلاغة

تلك كانت أهم «اكتشافات» المشككين في نسبة ما في (نهج البلاغة) إلى الإمام علي في فهل نتركهم ينعمون بما توصلوا إليه!؟ ونحن نعرف أنهم وارثوا «تطلع . !» صاحب بنر زمزم . .! (رحمه الله) فقد كان يريد أن يُعرف ويُشار إليه بالبنان . كما عُرف محمد بن عبد الله في وأشير إليه بالبنان . فكان له ما أراد . ! ولكن شتان بين ما عُرف به الرسول العظيم محمد وما أشير إليه بالبنان ، وما عُرف به صاحب بنر زمزم . .! وما أشير إليه بالبنان ، وما عُرف به صاحب بنر زمزم . .! وما أشير إليه بالبنان . .!

إذ أينما كان يولّي وجهه يُشار إليه بقولهم: «هذا الذي بال في بثر زمزم. . جاء.. ذهب.. قام.. قعد.. الخ» فذكره التاريخ واشتهر..! حتى جاء أحفاده فأرادوا السير على منهجه فلم يجدوا بثر زمزم وعصر بثر زمزم وأهمية بئر زمزم لقوافل العرب، فلجأوا إلى «نهج البلاغة» فأدلوا فيه بآرائهم تلك فكان لهم ما أرادوا من الشهرة.. والصيت.. وإنهم كانوا فرسان حلبتهم. في التشكيك بأقوال الإمام أمير المؤمنين علي ه وبذلك تواصلوا مع «صاحب بثر زمزم» وابن خلكان. أقول: هل نتركهم و«اكتثافاتهم».. تلك؟

بالتأكيد، لا.. لذلك سنرد عليهم بما يرضي الله جل وعلا وما يرضي رسول الله وما يرضي العقيدة والمبدأ وما يرضي الضمير وما يرضي المنهج العلمي في مقارعة الحجة بالحجة مستعينين بالله الواحد الأحد وما توفر لدينا من مصادر في هذا المحال.

#### ١ \_ جامع النهج:

قال الشريف الرضي، في كتابه «المجازات النبوية» ص٠٤ عندما ذكر حديث الرسول (الله الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ (١٠ فر حظ من صلاة». قال: ويبين ذلك قول أمير الموتين الله في كلام له: «تخففوا تلحقوا» وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم «نهج البلاغة» الذي أوردنا في مختار جميع كلامه صلى الله عليه وعلى الطاهرين من أولاده.

وفي كلامه على الحديث: «أسرعكن لحاقاً بي، أطولكن يداً» قال:

ومثل ذلك قول أمير المؤمنين ﷺ: "من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة".

 <sup>(</sup>١) الحاذ بالحاء المهملة والذال المعجمة، وهو قول بعضهم طريقة المتن من الإنسان وما وقع عليه من اللبد من ظهر الفرس.

وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بانهج البلاغة»<sup>(1)</sup> وعند كلامه على الاستعارة في قوله في خطبة له: الآلا وإن الدنيا قد ارتحلت مدبرة وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، قال:

ويرُوى هذا الكلام على تغيير في ألفاظه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقد أوردنا، في كتابنا الموسوم به انهج البلاغة، وهو المشتمل على مختار كلامه ، في جميع المعاني والأغراض والأجناس والأعراض، (").

وحول قوله (ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهرٌ وبطنٌ، ولكل حرف حد ولكل حد مقطع، قال: «المراد إن القرآن يتقلب وجوهاً ويحتمل من التأويلات ضروباً كما وصفه أمير المؤمنين علي في كلام له فقال: «القرآن حمّال ذو وجوه». وقد ذكرنا هذا في كتابنا الموسوم بانهج البلاغة».

وعن قولهﷺ: «القلوب أوعية بعضها أوعى من بعضها» قال:

اوريما نُسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين (على خلاف في لفظه، فقد ذكرناه في جملة كلامه لكميل بن زياد النخعي في كتاب (نهج البلاغة؟<sup>٣٠</sup>).

إضافة إلى ذلك فإن الرضى كان يذكر «المجازات النبوية»

<sup>(</sup>١) المجازات النبوية/ ٦٠.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق نفسه/ ١٥٢.

<sup>(</sup>٣) المصدر السابق نفسه/ ١٨٨.

أثناء شرحه النهج كقوله (العين: وكاء له (11). فقال الرضي: وهذا من الاستمارات العجيبة.. وقد تكلمنا على هذه الاستمارة في كتابنا الموسوم بالمجازات الآثار النبوية».. ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين علي (18 وقد ذكر ذلك محمد بن يزيد المبرد في كتاب «المقتضب» في باب اللفظ بالحروف، وفي الأظهر الأشهر إنه للنبي عليه الصلاة والسلام.

فعلى ماذا تدل عبارة «وفي الأظهر الأشهر» ألا تدل على أمانة تاريخية في نقل النصوص والتثبت من صحة نسبتها؟ إذ لو كان «النهج» من وضع الرضي لما احتاج إلى أن يحتاط هذا الاحتياط فيرفع كلاماً ظهر له أنه ليس للإمام علي إلى هو للرسول،

وفي كتابه يه الموسوم به "في حقائق التأويل" والذي طُبح منه الجزء الخامس فقط يقول الرضي في ص170 : "وإني لأقول أبداً: لو كان كلامه يلحق بغباره، أو يجري في مضماره بعد كلام رسول الله الله الكلام أمير المؤمنين في الفصاحة، لا تزاحمه عليه المناكب، ولا يلحق بعقوه الكادح للإعلام، ومن أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه ووسمناه به "فهج البلاغة"، ويشتمل على مختار والأغراض، والأجناس والأنواع من خطب وكتب، ومواعظ وحكم...، وتلك ثانية.

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه/ ٢٨٤.

والثالثة؛ قال الرضي عَلَمْهُ في جانب من مقدمة نهج البلاغة:

"فإني كنت في عنفوان السن وغضاضة النصن، ابتدأت بتأليف كتاب في "خصائص الأثمة هيه، يشتمل على محاسن أخبارهم، وجواهر كلامهم، حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب، وجعلته أمام الكلام، ولما فرغت من الخصائص التي تخص أمير المؤمنين علياً صلوات الله عليه، وعاقت عن إتمام الكتاب محاجزات الأيام، ومماطلات الزمان، وكنت قد بوبت ما الكتاب محاجزات الأيام، وفصلته فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه هي من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال والآواب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الأصدقاء ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه، ومتعجبين من نواصعه، وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على المختار من كلام أمير المؤمنين هي جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب"(").

وقوله وهو يذكر قول الإمام علي ( "تخففوا تلحقوا فما سمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر منه محصولاً ، وما أبعد غورها من كلمة ، وأنفع نطفتها من حكمة ، وقد نبهنا في كتاب «الخصائص» على عظم قدرها ، وشرف جوهرها (٢٠) . تلك الثلاث تدل، بما لا يقبل الطعن، أن الشريف الرضي هو جامع «نهج

شرح النهج ۲۲۳۳٪.

<sup>(</sup>Y) المصدر السابق نفسه ١/ ٤٤.

البلاغة، وليس المرتضى كلله. ومن يرى غير ذلك ـ بعد تلك التصريحات من الشريف الرضي ـ فهو: "سفه الرأي وإصرار على الخطأ.. فالرضى روى ما رأى وأورد ما ورد..، (۱).

#### ٢ \_ الغثاثة:

مررنا بكلام لمحمود شاكر تجنى فيه على الإمام علي هي الله الإمام علي الإمام على الإمام على الإمام على الإمام على الإمام على الله فقال إلى الحجة المنطقية المقنعة، لذلك فإننا سنسلك معه طرقاً علمية ومنهجية لعله يستنير بها هو وغيره، مما أرهقت أبصارهم وبصائرهم ظلمة الطريق التي سلكوها والدرب الذي اختاروه لأنفسهم.

يقول الشريف الرضي في مقدمة نهج البلاغة: «كان أمير المومنيين علي مشرّع الفصاحة ومورّدها، ومنشىء البلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخِذَت قوانينها، وعلى أمثلته أخذ كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصّروا، وتقدّم وتأخروا؛ لأن كلامه الله الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي.. وهو الجر الذي لا يساجل، والجم الذي لا يُحافَلُ ('').

أما الشيخ محمد عبده فقد قال في مقدمة شرحه "نهج

المصدر السابق نفسه ٤٩/١. وانظر خصائص الأثمة/ ١٨٧، الذي ألفه الرضي سنة ٣٨٣هـ.

<sup>(</sup>٢) نهج البلاغة ٢٠/ ٢٥.

البلاغة، «نقد أوفى لي حكم القدر بالإطلاع على كتاب «نهج البلاغة» مصادفة بلا تعمد، أحببته على تغير حال، وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال، فحسبته تسلية وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملاً من عباراته، من مواضع مختلفات، وموضوعات متفرقات، فكان يُخيل إليَّ في كل مقام أن حروباً شبت وغارات شُنت، وأنّ للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة.. وأن جحافل الخطابة وكتائب اللرابة، في عقود النظام، وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج، والقويم الأملج.. وإن مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد، وتحوّل المعاهد؛ فنارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية في خُلَل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية.. وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً، فُصِل عن الموكب الإلهي، واتصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاثيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد النور الأجلى، وسكن به إلى عمار جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب الطبيس،

وهذا عبد الحميد الكاتب يقول: "حفظت سبعين خطبة من خطبه (أي من خطب الإمام عليﷺ) ففاضت ثم فاضت".

<sup>(</sup>١) مناقب آل أبي طالب ٧/٢.

ولما سُئل ما الذي خرّجه في البلاغة؟ قال: «خطب الأصلع»(١).

ومثل ذلك قال ابن نباتة المصري: «حفظت من الخطابة كنزاً، لا يزيده الإنفاق إلا سعة، حفظت مائة فصل من مواعظ على بن أبي طالب؟.

أما الشريف المرتضى فقد دوى «إن الحسن البصري كان بارع الفصاحة بليغ المواضع كثير العلم، وجميع كلامه في الرعظ، وذم الدنيا، أو جلّه مأخوذ لفظاً ومعنى، أو معنى دون لفظ، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فهو القدوة والغانة (17).

وكان ابن المقفع يقول عن خطب الإمام علي ﷺ: «شربت من الخطب رياً ولم أضبط لها روياً، ففاضت ثم فاضت فلا هي نظاماً، وليس غيرها كلاماً»<sup>(٣)</sup>.

أما الأستاذ أحمد محمد الحوفي فقد أوجز لنا في كتابه البلاغة الإمام علي شخف صفات تعبيرات الإمام علي ﷺ فقال:

 ا ـ تخير المفردات: «بحيث تنسجم مع الناحية الصوتية فتجيء خفيفة على اللسان، لذيذة الوقع في الآذان، موافقة لحركات النفس، مطابقة للعاطفة التي أزجتها والفكرة التي

<sup>(</sup>١) العقد الفريد ٢/ ٣٥٧.

<sup>(</sup>٢) شرح ابن هيثم ج١.

 <sup>(</sup>٣) انظر: إتقان المقال ١٩٢، أسد الغابة ٢/ ٤٢. الإصابة في تمييز الصحابة
 ١٩٧٠٥.

أملتها». ويورد أمثلة على ذلك مثل قوله في كتاب إلى عماله على الخراج:

"إنكم خزان الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأثمة". وقوله لمعاوية:

«لست بأمضى على الشك مني على البقين». وقوله: «كلما أطل عليكم منسر. أغلق كل رجل بابه، وانجحر انجحار الضبة ني جحرها والضبع في وجارها».

وقوله: "من أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه". وقوله: "إن تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء غشاء أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم».

٢ - قوة التعبير: «ومن السهل أن نجد كثيراً مما يتصف بالقوة والجزالة والفخامة في خطب الإمام علي وفي رسائله، تعبيراً عن عواطفه وأفكاره التي تقتضي التعبير القوي الفخم الملائم لشدتها وقوتها وحرارتها». ومن الأمثلة والنماذج قوله:

والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها، ويختلها راصدها، ولكني أضرب بالمقبل إلى الحق المعدر عنه، وبالسامع المطبع العاصي المريب أبداً، حتى يأتي علي يومي، وقوله:

«ألا وإني لم أرّ كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ألا وإنه من لم ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى يجرُّ به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأملّ.

وقال في خطبة يخوّف بها أهل النهروان: «فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم، قد طوّحت بكم الدار، وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة، فأبيتم علي إباء المخالفين، المنابلين، حتى صرفت رأيي إلى هواكم، وأنتم معاشر أخفًاء الهام، سفهاء الأحلام، ولم آتِد - لا أبا لكم - بجراً، ولا أردت بكم ضراً»

٣\_ سهولة التعبير: مثل قوله في كتاب إلى عبد الله بن المبحد، وعنا معدد الله نحتسبه ولما ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً، وقد كنت حثثت الناس على لحاقه، وأمرتهم بغيائه قبل الوقفة، ودعوتهم سراً وجهرا، وعوداً وبدءا، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتل كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً».

## وقوله في رسالة إلى عمر بن العاص قبل التحكيم:

«أما بعد، فإن الدنيا مشغلة عن غيرها، ولن يصيب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً يؤيده فيها رغبة، ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يبلغ، ومن وراء ذلك فراق ما جمع، والسعيد من رُعظ بغيره، فلا تحبط أبا عبد الله أجرك.

وقوله في خطبة له:

"اسمعوا قولي، وأطيعوا أمري فوالله لتن أطعتموني لا تغوون، وإن عصيتموني لا ترشدون، خذوا للحرب أهبتها، وأعنوا لها عنتها، فقد شبت نارها.. ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء بأولى في الجد في غيهم وضلالتهم من أهل البِر والزهادة والإخبات في حقهم وطاعة ربهم.

إني والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه لعلى ثقة وبيّنة وبقين وبصيرة.

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَقِقَـالًا وَجَهِمُوا ۚ إِنْوَالِحُمْ وَلَقْدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُو تَعْلَمُونَ ۞﴾(١).

٤ - قصر الفقرات: مثل قوله لمّا أغار النعمان بن بشير الانصاري على عين التمر: «منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يحبب إذا دعوت، لا أبا لكم، ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم، ولا حمية تحشّمكم، أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متغوثاً، فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثأر، ولا يبلغ بكم مرام».

أو كقوله:

«فتداكوا عليّ تداك الإبل يوم وردها، وقد أرسلها راعيها، وخلعت مثانيها، حتى ظننت أنهم قاتليّ، أو بعضهم قاتل بعض

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ٤١.

لديّ، وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره، حتى منعني القوم، فعا وجدّتني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد فلا فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب، وموتات الذنيا أهون عليّ من موتات الأخرة».

وقوله في كتاب إلى أمراء جيوشه:

«ألا وإن لكم عندي ألا احتجز دونكم سراً إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم، ولا أؤخر لكم حقاً عن محلّه، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة، ولا تنكصوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحقّاء.

٥ - كثرة الصيغ الإنشائية: وهي «الأمر والنهي والاستغهام والترجّي والتمني والنداء والقسم والتعجب». وهي أقوى من الصيغ الخبرية تجديداً للسامعين، وأشد تنبيهاً وأكثر إيقاظاً، وأدعى إلى مطالبتهم بالمشاركة في القول وفي الحكم، وهي في الوتت نفسه أدق في تصوير مشاعر الخطيب وأفكاره، لأن أفكاره ومشاعره المتنوعة في حاجة إلى أساليب متغايرة تفصح عنها، ثم إن مغايرة الأساليب تستتبع مغايرة في نبرات الصوت وفي الوقفة والإشارة وطريقة الإلقاء. وهذا كله عون على الوضوح من ناحية وعلى التأثير في السامعين من ناحية أخرى».

ذلك ما قاله الدكتور أحمد محمد الحوفي، ولكي يعزز قوله بالدليل أورد أمثلة على ما قال وهي: ١ ـ من الأمر قوله: "فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من
 حثالة القرظ».

وافاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومُثلاته، واتعظوا بمثاوي خدودكم، ومصارع جنوبكم، واستعيذوا بالله من لواقح الكِبر، كما تستعيذون من طوارق الدهر؟. وقوله: اليتأسّ صغيركم بكبيركم وليرأف كيركم بصغيركم؟.

من النهي قوله: "فلا تجعلن للشيطان فيك نصبباً، ولا عن نفسك سبيلاً". وقوله: "ولا ترخصوا لأنفسكم، فتذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة، ولا تداهنوا فيهجم بكم الإدهان على المعصية، ولا تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب، ولا تباغضوا فإنها الحالقة».

و"فلا يغرنكم ما أصبح فيه أهل الغرور، فإنما هو ظل ممدود إلى أجل معدود».

و<sup>و</sup>فإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا».

و"عباد الله لا تركنوا إلى جهّالكم، ولا تركنوا إلى أهوائكم».

والا يؤنسنكم إلا الحق، ولا يوحشنكم إلا الباطل..

و«فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الجرب».

و"فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما

يُتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً ني حتّي قيل لي، فلا تكفّوا عن مقالةٍ بحق أو مشورةٍ بعدل».

ح. ومن الاستفهام قوله: «أبعد إيماني برسول اله الهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت، إذن، وما أنا من المهتدين؟.

وقوله (هل يُحس به - ملك الموت - إذا دخل منزلاً؟ أم تراه إذا توفّى أحداً؟ بل كيف يتوفى الجنين في بطن أمه؛ أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح أجابته بإذن ربها؟ أم هو ساكن معه في أحشائها؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخل ق مثله؟،

وقوله «أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى والأبصار اللامحة إلى منازل التقوى؟

أين القلوب التي ذهبت لله وعوقدت على طاعة الله؟».

٤ ـ ومن الترجي قوله: (فاسمعوا قولي، وعوا منطقي،
 عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف.

و«لعل الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمة».

والا تعجل في عيب أحد بذنبه، فلعله مغفورٌ له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذبٌ عليها».

واهيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعل بالحجاز وباليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع. ٥ ـ ومن التمني، قوله: ﴿يَا أَشْبَاهُ الرَّجَالُ وَلَا رَجَالُ...
 لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم».

وقوله: «قد دارستكم الكتاب، وفاتحتكم الحجاج، وعرفتكم ما أنكرتم، وسوغتكم ما مججتم، لو كان الأعمى يلحظ، أو النائم يستيقظ.

٦ ـ ومن النداء، قوله: ﴿أَيْهَا النَّاسُ شَقُوا أَمُواجُ الْفَتَن بَسَفَنُ النَّجَاةُ».

وقوله: «فاتقوا الله عباد الله، وفروا إلى الله من الله».

وقوله، يخاطب فئة من الناس: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم كلامكم يوهم الصم الصلاب، وفعلكم يُطمع فيكم الأعداء..».

٧ ـ ومن القسم، قوله: «أما والله ما أتيتكم اختياراً ولكن
 جئت إليكم سوقاً».

وقوله: "والله لو قتلتم على هذا دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام؟».

٨ ـ ومن التعجب، قوله: "سبحانك ما أعظم شأنك، سبحانك ما أعظم ما نرى من ملكوتك، وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك، وما أسبغ نعمك في الدنيا، وما أصغر عظيمه في جنب قدرتك، وما أصغرها في نعم الآخرة».

وقوله: "إستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة لمعصيته، فإن غداً من اليوم قريب». وقوله: "ما أسرع الساعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشهر، وأسرع الشهور في السنة، وأسرع السنين في العمر».

وقوله: (فيا عجباً، عجباً والله يميت القلب، ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم».

٩ ـ السجع والترسل، جاه في إحدى خطبه ﷺ: "فليقبل امرؤ كي المرة بقبولها، وليحذر قارعة قبل حلولها، ولينظر امرؤ في قصير أيامه، وقليل مقامه، في منزل حتى يستبدل به منزلاً، فليصنع لمتحوله ومعارف منتقله، فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه، وتجنب من يرديه، وأصاب سبيل السلامة ببصر من بصره، وطاعة هادٍ أمره، وبادر الهدى قبل أن تغلق أبرابه، وتقطع أسبابه، واستفتح التوبة وأماط الحوبة، فقد أقيم على الطريق وهدي نهج السبيل؟.

ومن قوله حين أنكر عليه الخوارج تحكيم الرجال: «إنّا لم نحكم الرجال؛ إنما حكّمنا القرآن، هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفين، لا ينطق بلسان، ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال، ولما دعانا القوم إلى أن نحكم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله \_ سبحانه وتعالى \_ وقد قال الله \_ عز من قائل \_ : ﴿ وَإِن نَشِرَعُمُ فِي كَنَّ وَرُوّهُ إِلَى اللهِ وَالرَّولِ ﴾ (١٠) فردُّه إلى الله أن نحكم بكتابه ورده إلى الرسول أن نأخذ بسنة رسول الله الله التحكيم . . . فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل،

سورة النساء، الآية: ٥٩.

ويتثبت العالم، ولعل الله أن يصلح في الهدنة أمر هذه الأمة، ولا تؤخذ بأكظامها» (أي مخارج الأنفاس).

 ١٠ ـ التوازن: كثيراً ما تجيء الجمل في «نهج البلاغة» متوازنة، بأن يتساوى عدد كلماتها، أو تتماثل أوزان نهاياتها، وهذا ضرب آخر من موسيقى التعبير يحببه إلى السمع ويقربه إلى اللوق.

يقول الدكتور الحوفي: "والتوازن أو الموازنة بهذا المعنى أهم من السجع، لأن السجع ورود أجزاء الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد مثل: القريب والحسيب والغريب، أما الموازنة بين أواخر الكلمات فهي مثل: القريب والشهيد والجليل. فالوزن واحد والحرف الأخير مختلف.

ومن الموازنة قول الإمام علي ﷺ: (لم يُؤده خلق ما ابتداً، ولا تدبير ما ذراً، ولا وقف به عجز عما خلق، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر، بل قضاء متفن وعلم محكم، وأمر مبرم».

وقوله: «إن غاية تنقصها اللحظة، وتهدمها الساعة، لجديرة بقصر المدة، وإن غائباً يحدوه الجديدان، الليل والنهار، لحري بسرعة الأوبة، وإن قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة، فيا لها حسرة على ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجة، وأن تؤديه أيامه إلى الشقوة، نسأل الله ـ سيحانه ـ أن يجعلنا وإياكم ممن لا تبطره النعمة، ولا تقصر عن طاعة ربه غاية، ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة».

وقوله: «إن الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم، وإن

ضحكوا.. ويشتد حزنهم وإن فرحوا، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقوا».

ويقول الدكتور الحوفي: «وقد يجيء التوازن في داخل الجمل لا في نهاياتها، فيولف انسجاماً في نطق الكلمات وفي سماعها، مثل قوله : الحمد لله غير مقنوط من رحمته، ولا مخلو من نعمته، ولا ميؤوس من مغفرته، ولا مُستَنكَف عن عادته، الذي لا تبرح منه رحمة، ولا تُقتد له نعمة».

فقد وازن الله بين مقنوط ومخلوق وميؤوس، إضافة إلى السجع، كما استعرض الدكتور الحوفي مطالب بلاغية أخرى كالجناس والطباق والمقابلة والتوشيح... مما ورد في خطب وأحاديث ومراسلات ووصايا الإمام علي في كما استعرض التشبيه والكتاية والاستعارة والمجاز.. التي برع فيها الإمام الإمام براعة منقطعة النظير، في شتى شؤون المعرفة، والعقل، والنفس، وفي مختلف قضايا البشر والدين والدنيا.

وقبل الدكتور الحوني قال معاوية، وهو يرد على ابن محفن عندما قال له: جئتك من عند أعيا الناس، قال له معاوية: «ويحك، كيف يكون أعيا الناس فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره». وقبل معاوية قال الرسول الكريم محمد بن عبد الله "أنا مدينة العلم، أو الحكمة، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه، صدق رسول الله وكذب محمود محمد شاكر في ادعائه إن في قول الإمام «غائة».

اللهم اشهد إن كانت البلاغة بفروعها والفصاحة بأصالتها،

ونقائها وصفائها التي وردت على لسان إمام البلاغة وسيد الفصحاء الإمام علي هي والتي وقفنا على بعضها في ما نقلنا من فقرات.. أقول: إن كانت تلك البلاغة والفصاحة "غثاثة» فأنا أول المتمسكين بها؛ فغث الإمام سمين وسمين أعدائه غث، لأنه رضع لبانها من منبع النبوة الصافي فوضع لنا أسسها وشيد بنيانها فكانت أقوى الأسس وأجعل بنيان وأحكمه.

ولا نريد أن نضيف شيئاً إلى ما جاء به الدكتور الحوفي عسى أن تكون تلك الشواهد على بلاغة وفصاحة الإمام علي على الشوماً تنير درب التاقهين الحيارى، أمثال محمود محمد شاكر وقاء الله يوم لا مفر منه.

## ٣ ـ عائدية نهج البلاغة:

لقد تكلمنا في الفقرة (١ ـ جامع النص) وبيّنا بالدليل الواضح أن الشريف الرضي ـ وليس المرتضى ـ هو جامع «النهج» ورددنا على المشككين في كون «النهج» للإمام علي أو أن بعضه له وبعضه ليس له، ثم رددنا على محمود محمد شاكر في فقرة (٢ ـ الغثاثة)، وعلينا في هذه الفقرة أن نتبسط في الكلام فنبين ـ بالحجة الدامغة، كما هو منهجنا دائماً ـ أن ما في «نهج البلاغة» من ألفه إلى يائه يعود إلى الإمام علي على وللرضي جهد الجامع لا الواضع.

وقبل أن نورد ما عندنا من دليل على عائدية ما في «النهج» إلى الإمام علي ﷺ علينا أن نستأنس بأقوال قيلت في بلاغته

لنقرأ قول غيره فيه:

قال معاوية بن أبي سفيان: «ما رأيت أحداً يخطب ليس محمداً أحسن من علي إذا خطب، فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره».

وقال الحارث الأعور: "والله لقد رأيت علياً وإنه ليخطب قاعداً كقائم ومحارباً كمسالم».

وقال الشريف الرضي: في مقدمة «النهج»: «وعلى أمثلته حدا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بلبغ».

أما ابن الجوزي فقال في التذكرة: «كان علي ينطق بكلام قد حث بالعصمة، ويتكلم بميزان الحكمة، كلام ألقى الله عليه المهابة، فكل من طرق سمعه راقه فهابه، وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة، والطلاوة والفصاحة، لم تسقط له كلمة ولا بارت له حجة، أعجز الناطقين، وحاز قصب السبق في السابقين».

ولنقرأ قول محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السؤول): «الفصاحة تنسب إليه ـ أي الإمام علي ﷺ ـ والبلاغة تنقل عنه والبراعة تُستفاد منه، وعلم البيان والمعاني غزيرة فيه». ونكرر قول عبد الحميد الكاتب: إذ سُئل ما الذي خرجك في البلاغة؟

قال: «حفظت سبين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت».

وكذا قال ابن المقفع.

ولنقرأ قول ابن أبي الحديد المعتزلي في طيات شرح 
«النهج»: «واعلم أننا لا يخالجنا الشك في أنه اله أفصح من كل 
ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين إلا من كلام الله سبحانه، 
وكلام رسول الله . حتى يقول: «واعلم أن تكلف الاستدلال 
على أن الشمس مضيئة يُتعب، وصاحبه منسوب إلى السفه، 
وجاحد الأمور المعلومة علماً ضرورياً أشد سفهاً ممن رام 
الاستدلال بالأدلة النظرية عليها.

وأخيراً قال محمد عبده في مقدمة شرح «نهج البلاغة»
«مهما اختلفت الناس في شيء من مناقب أمير المؤمنين وفضائله
وميزاته وخصائصه فإنهم لا يختلفون بأنه إمام الفصحاء وسيد
البلغاء وإن كلامه أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله وكلام نبيه،
وأغزره مادة وأرفعه أسلوباً، وأجمعه لجلائل المعاني».

تلك كانت نتف من أقوال منها من مضطرين ومنها من مضمين ولكنها جميعاً كانت تقول: إن علي بن أبي طالب الله المبد البلغاء وسيد الفصحاء. وإذا ما عرفنا أن فترة تولي الإما الله كانت فترة صاخبة؛ فمن حرب الجمل إلى حرب صفين فالنهووان، فإنه من الطبيعي أن يعالج الإمام الله تلك الأحداث

وقد بلغ اهتمام الناس بكلامه الله وشغفهم به أن أطلقوا على بعض خطبه أسماء خاصة للتعريف بها، والتمييز بينها، مثل:

«التوحيد، والشقشقية، والهداية، والملاحم، واللؤلؤة، والغراء، والقاصفة، والافتخار، والأشباح، والدرة اليتيمة، والأقاليم، والوسيلة، والطالوتية، والقصبية، والنخيلة، والسليمانية، والناطقة، والدامغة والفاضحة والمخزون، والديباج، والبالغة، والمنبرية والمكاييل، والمؤتقة، ـ أي الخالية من الألف ـ والعارية عن النقط، والزهراء.

إذن، اهتم الناس بجمع خطب وأحاديث وكتب ووصايا الإمام هي ولم يكن الشريف الرضي للله هو السابق إلى جمع كلام أمير المؤمنين علي هي ولا الأول في تدوينه؛ فقد عني الناس به عناية بالغة، وحظي بما لم يحظ به كلام أحد من البلغاء - على كثرتهم - قبل الإسلام وبعله، ودوّنوه في عصره، وحفظوه في أيامه، وكتيوه ساعة إلقائه.

هذا زيد بن وهب الجهني، وكان من أصحابه، وشهد معه بعض مشاهده، جمع كتاباً من خطبه، سلام الله عليه، وهذا الحارث الأعور، صاحبه وكان من المنقطعين إليه، والمجاهدين بحبه وتفضيله على غيره، روى عنه وأخذ من علومه، الذي توفي سنة ٦٥ هـ. فقد دوّن بعض خطبه ﷺ ساعة إلقائها.

وهذا الأصبغ بن نباتة المجاشعي، وكان من خاصة أمير المؤمنين، روى للناس عهده للأشتر النخعي لما ولأه مصر، ووصيته لولده محمد ابن الحنفية وشريح القاضي وكميل بن زياد النخعي، ونوف البكالي، وضرار بن ضمرة الضبائي. كلهم سمعوا بعض كلامه فحفظو، ورووه للناس كما سمعوه.

وذكر الجاحظ: إن خطب علي ﷺ كانت مدونة محفوظة مشهورة.

وقال ابن واضح في كتابه «مشاكلة الناس لزمانهم»: كان علي بن أبي طالب فله ، مشتغلاً أيامه كلها في الحرب إلا أنه لم يلبس ثوباً جديداً، ولم يتخذ ضيعة، ولم يعقد على مال (أي لم يجمعه) إلا ما كان بينع والبعبعة (عين بالمدينة) مما يتصدق به، وحفظ الناس عنه الخطب، فإنه خطب بأربعمائة خطبة، حفظت عنه، وهي التي تدور بين الناس، ويستعملونها في خطبهم».

وأحصى المسعودي ـ في مروجه ـ ما كان محفوظاً من خطبهﷺ فقال:

«والذي حفظ الناس من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة ونيف وثمانين».

وقال سبط بن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص: «أخبرنا

الشريف أبو الحسن على بن محمد الحسيني باسناده إلى الشريف المرتضى قال: "وقع إليّ من خطب أمير المؤمنين الله أربعمائة خطبةً.

وذكر القطب الراوندي أنه وجد بمكة كتاب في واحد وعشرين جزءاً كله في كلام الإمام على ﷺ.

تلك هي أقوال من تقدموا على الشريف الرضي بزمان طويل، إذ أكّدت أن خطب الإمام علي الله كانت مدونة ومحفوظة وقد أربت على أربعمائة خطبة. وإذا ما علمنا أن الشريف الرضي لم يختر منها إلا (۱۲۱) خطبة فقط ظهر لنا جلياً أن ما في «النهج» هو للإمام علي الله وليس من وضع الشريف الرضي أو غيره، ما خلا ما صرّح به ابن أبي الحديد؛ أنه اختار جملاً قصاراً في آخر النهج منها للإمام ومنها لغيره ولكنها تشبه كلامه، وليته ما اختارها وليته ما صرّح به لأنها كانت قميص عثمان في يد المشككين، ولكن الحقيقة تبقى كما هي لا يمكن تكرانها إذا ما انبرى لها من يكشف عن وجهها الناصع، وها نحن فعلنا ذلك

وزيادة في التأكيد على أن ما في "النهج" هو للإمام علي شير إلى بعض المؤلفات التي أُلفت قبل "النهج" الذي ألفه الشريف الرضي، وكلها تتحدث عن كلام الإمام أمير المؤمنين علي في وهي:

١ ـ خطب أمير المؤمنين على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها، لزيد بن وهب الجهني، وهو أول كتاب جمع

في كلامهﷺ، إذ إن مؤلفه أدرك الجاهلية والإسلام، وتوفي سنة 97هـ(١).

٢ - خطب أمير المؤمنين الساوية عن الإمام الصادق الله الميد على السادق الله الله السيد على السادق الله الله الرحمة وكتب عليها أنها كتبت بعد الماتين من الهجرة. وعن هذا الكتاب، والذي بعده نقل الرضي خطبة الأشباح في «نهج البلاغة» (٢).

٣ ـ خطب أمير المؤمنين الله المسعدة بن صدقة العبدي، وهو من علماء الجمهور، وكان هذا الكتاب موجوداً إلى زمن السيد هاشم البحراني المتوفى سنة ١٠٧ أو ١٠٩ونقل عنه كثيراً في تفسيره (البرهان) وذكره في مقدمة كتابه المذكور.

 كتاب الخطبة الزهراء لأمير المؤمنين لأبي مخنف لوط ابن يحيى بن مخنف بن سليم الأزدي شيخ أصحاب الأخيار في الكوفة المتوفى سنة ١٥٧ هـ.

 - خطب أمير المؤمنين: لإسماعيل بن مهران بن أبي النصر زيد السكوني الكوفي، ذكره النجاشي في فهرسه.

ت خطب أمير المؤمنين ﷺ: للسيد الجليل عبد العظيم بن
 عبد الله بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

٧ ـ خطب علي ﷺ: لإبراهيم بن الحكم بن ظهير

<sup>(</sup>١) انظر نهج البلاغة ١/ ٢٥٩.

<sup>(</sup>٢) الإمام علي، روائع نهج البلاغة.

الفزاري. وقد ذكره الطوسي في فهرسه، وهو من أصحاب أواخر القرن الثاني.

٨ ـ خطب أمير المؤمنين ﷺ: برواية الواقدي أبي عبد الله
 محمد بن عمر بن واقد المدني المتوفى سنة ٢٠٧.

9 \_ خطب على الله على الفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوني العطار، وكان من علماء الأخبار وشيخ أصحاب المغازي والسير، وصاحب كتاب "صفين" الذي احتوى على كثير من خطب الإمام وكتبه ووصاياه، يوافق بعضها بعض ما جاء في "نهج البلاغة" وهو من علماء القرن الثاني. إذ قال إبن النديم عنه إنه من طبقة أبي مخنف، وقبل إن وفاته كانت سنة ٢٠٢ه. ولا شك أن الرضى اعتمده مصدراً من مصادره في (النهج)

١٠ \_ خطب على كرّم الله وجهه: لأبي المنذر بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٥ هـ وقبل ٢٠٦ هـ. وكان قد نشأ في الكوفة، وهو نسّابة وعالم بأخبار العرب وأيامها، وقد اتصل ابوه بالإمامين الباقر والصادق ، فأخذ هشام عن أبيه أخباره وعلومه، ولأنه من بيت معرفة بالتشيع، لأهل البيت الم يدخله الذهبي بين الحفاظ المشاهير وسماه محمد بهجة الأثري - من المعاصرين \_ «الزنيم» في حاشيته على «بلوغ الإرب» ٢/٥. ولهذا السبب انمحت آثاره.

١١ ـ خطب علي وكتبه إلى عمّاله: لأبي الحسن علي بن محمد المدانني، وقد ذكره إبن النديم في فهرسه. وقد صنّف كتباً كثيرة منها: الخطب النبي، الله واخطب علي وكتبه إلى عماله، و«كتاب من قتل الطالبيين» و«كتاب الفاطميات».

وقال صاحب الكنى والألقاب إنه قد توفي سنة ٢٢٥ هـ.

١٢ - خطب أمير المؤمنين : لصالح بن حماد الرازي، وقد عدّه النجاشي في فهرسه من رجال المائة الثالثة، إذ كان قد صحب الإمام الحسن العسكري :

١٣ ـ مائة كلمة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب: وقد اختارها الجاحظ من كلام الإمام علي ﷺ، واختار الرضي منها في «النهج» وذكرها الخوارزمي في «المناقب» بسنده عن أبي بكر محمد بن دريد صاحب أبي عثمان الجاحظ فقال: كان الجاحظ يقول لنا زماناً إن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مائة كلمة كل كلمة منها تفي بألف كلمة من محاسن كلام العرب، قال: وكنت أسأله دهراً بعيداً أن يجمعها لي، ويمليها علي، وكان يعدني بها، ويتخافل عنها، ظناً بها . فلما كان آخر عمره أخرج جملة الكلمات المائة هذه ثم ذكرها.

وروي ذلك في «الحدائق الوردية» عن كتاب «جلاء الأبصار» عن الحاكم بإسناده إلى الجاحظ.

ولم يرض الآمدي عن الجاحظ لاقتصاره على هذه المائة وقال عنها:

إنها (بعض من كل، وطلّ من وبل) مما دعاه إلى تأليف كتابه (غرر الحكم ودرر الكلم).

١٤ ـ رسائل أمير المؤمنين ﷺ وأخباره وحروبه: ذكره

الطوسي في فهرسه بأنه إبراهيم بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي الكوفي، وكان زيدي الرأي ثم تحول إلى الإمامية، كما قال صاحب تأسيس الشيعة، وذكر وفاته بأنها في سنة ۴۸۳هـ.

 ١٥ ـ الخطب المعربات: لإبراهيم بن جلال بن عاصم بن مسعود الثقفي صاحب كتاب رسائل أمير المؤمنين الشخ وأخباره وحروبه الذي ذكرناه بالرقم (١٤).

قال عنه السيد هبة الدين في كتابه "ما هو نهج البلاغة" وهو ينقل عن النجاشي: «إن هذا الكتاب من جملة المؤلفات في كلام أمد المؤمنين ( الله منين الله عنه ).

ويحتمل عبد الزهراء الحسيني الخطيب في كتابه "مصادر نهج البلاغة وأسانيده أن يكون إسم هذا الكتاب «الخطب المقريات» إذ قال: "وقد يسمى هذا الكتاب بالخطب المقريات (بالقاف بعد الميم والمثناة التحتانية بعد الراء»).

١٧ ـ خطب أمير المؤمنين على مرحها: للقاضي النعمان المصري المتوفى سنة (١٣٣هـ) عدّه من تصانيفه في كتابه (الهمّة في معوفة الأثمة) وقد ألَّقه سنة ١٣٨هـ. وكان الرضي قد ولد سنة

٣٥٩هـ. وهذا يعني أن الكتاب لم يكن شرحاً لـ «نهج البلاغة» كما صدر عن البعض، وقد نبّه إلى ذلك صاحب كتاب «الذريعة».

١٨ ـ خطب امير المؤمنين ﷺ.

١٩ \_ مواعظ علي ﷺ.

٢٠ ـ رسائل علي ﷺ، وقد ذكره النجاشي في فهرسه.

۲۱ \_ كلام على ﷺ.

٢٢ ــ الملاحم، وقد ذكره النجاشي في فهرسه.

قال عبد الزهراء الخطيب في كتابه "مصادر نهج البلاغة وأسانيده" (وهو يعتمد كتاب "المراجعات الريحانية" للإمام كاشف الغطاء مصدراً له):

إن "هذه الكتب - وهو يشير إلى الخمسة المذكورة آنفاً - كلها مجموعة من كلام علي ﴿ النّها الشيخ عبد العزيز يحيى الجلودي البصري المتوفى سنة (٣٣٨هـ)، وهو من أكابر علماء الإمامية، والرواة للآثار والسير، عدد له علماء الرجال ما ينيف على مانتي كتاب بل ما يقرب من ثلاثمائة كتاب كلها من عجائب الكتب. منها أربعون كتاباً فيما يتعلق بخصوص أمير المؤمنين ﴿ في غزواته مع النبي ﴿ وحروبه من الجمل وصفين والغارات والحكمين، وبني ناجية، وما نزل في الخمسة، وتزويج فاطمة، ومن أحبه ومن أبغضه، ومن سبّه من الخلفاء، وكتاب التفسير عنه، وما نزل في القرآن في خصوصه، وكتاب شعره وكتاب خطبه وخلافته وعمّاله وولاته، والشورى وما كان بينه وبين عثمان، وقضائه، ورسائله، ومن روى عنه من الصحابة، وكتاب شيعته، ومن مال بعده.

أفرد لكل هذه المذكورات كتاباً، ثم على مثل هذا ألّف في كل واحد من أهل البيت كتاباً.. وله عشرات من الكتب تتعلق بعبد الله بن عباس.. ثم بقية كتبه في سائر العلوم وأحوال سائر الأمم عامة والعرب خاصة، والشعراء على الأخص.

بعد تلك الجولة مع الكتب المولفة في خطب واحاديث أمير المؤمنين علي في قبل جمع "نهج البلاغة»، بل قل قبل ولادة الشريف الرضي، وهي بعض من كل إذ لا شك أن ثمة غيرها قد ألَّفت ولكن عوادي الزمن لم تحفظها لنا مثلما لم تحفظ كثيراً مما ذكرنا عناوينها. وثمة الكتب التي ألَّفت بعد صدور "نهج البلاغة» للرضي، ولكنها كانت مستقياتها في كثير منها غير نهج البلاغة، وغير الشريف الرضي.

أقول.. بعد تلك الجولة: ألا يكفي ذلك دليلاً على أن دور الشريف الرضي كان دور الجامع فحسب لمحتويات "نهج اللافقاء؟

وإن تلك المحتويات هي من كلام الإمام علي الله بغضها وقضيضها ومن ألفها إلى يائها ؟وأخيراً لا بدلي أن أتساءل بما تساءل به عبد الله حسين في كتابه (مصادر نهج البلاغة):

«أين تلك المولفات الموضوعة في خطب الإمام علي وكلامه؟ وأين ذهبت الأربعمائة من كلماته؟ أليس في كل هذا ما يؤكد أن ما اختاره الرضي في «نهج البلاغة» هو بعض ما كان مدوناً ومحفوظاً ومشهوراً بين الناس؟ أليس هذا ما يدفع أولئك القاتلين بأن ما في «النهج» موضوع ومنحول على لسان الإمام على؟».

ثم ماذا نقول عن أقوال الأدباء والمفكرين والفلاسفة في «نهج البلاغة» وفي كونه من كلام عليﷺ؟ هل نضع هؤلاء كلهم في «خانة» الخطأ؟

لنقرأ أقوالهم عسى ان تكون - ليس رداً على المشككين -بل شمساً تضيء لمن يريد أن يستضيء بنور الحقيقة، وتحرق من يصر على "تعصيب" عينيه بخرقة سوداء. والأهمية تلك الأقوال نضعها تحت عنوان مستقل هو:

## أقوال المنصفين في «نهج البلاغة»:

ـ قال ابن أبي الحديد: «إن سطراً واحداً من «نهج البلاغة» يساوي ألف سطر من كلام إبن نباتة، وهو الخطيب الفاضل الذي اتفق الناس على أنه واحد عصره في فته».

ـ وقال الدكتور زكي مبارك: «لا مفر من الإعتراف بأن «نهج البلاغة» له أصل وإلاً فهو شاهد على أن الشيعة كانوا أقدر الناس على صياغة الكلام البليغ».

ـ أما خليل هنداوي فقال: «لا نكاد نرى كتاباً انفرد بقطعات مختلفة يجمعها سلك واحد من الشخصية الواحدة، والأسلوب الواحد كما نراه في «نهج البلاغة» لذا نقرر ونكرر أن «النهج» لا يمكن ان يكون إلا لشخص واحد، نفخ فيه نفساً واحداً». \_ وقال محقق شرح النهج الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم في مقدمته: "ومنذ أن صدر هذا الكتاب عن جامعه، سار في الناس ذكره، وتألق نجمه، أشأم وأعرق وأنجد وأنهم، وأعجب به حيث كان وتدارسوه في كل مكان، لما اشتمل عليه من اللفظ المنتقى، والمعنى المشرق، وما احتواه من جوامع الكلم، في أسلوب متساوق الأغراض محكم السبك، يعد في الذروة العليا من النثر العربي الرائع».

\_ وقال السيد الأميني في أعيان الشيعة: «وغير خفي أن من يريد اختيار أنفس الجواهر من الجواهر الكثيرة لا بد أن يكون جوهرياً حاذقاً، فكان الرضي باختياره أبلغ منه في كتاباته، كما قبل عن أبي تمام لما جمع «ديوان الحماسة» من منتخبات شعر العرب: إنه في انتخاباته أشعر منه في شعره».

وقد لاقى ديوان الحماسة من القبول عند الناس إقبالاً كثيراً وشرحه أعاظم العلماء، وكذلك "نهج البلاغة" من الشهرة والقبول ما هو أهله، وشرح بشروح كثيرة تنبو عن الإحصاء وكان مفخرة من أعاظم مفاخر العرب والإسلام".

 ني حين قال الشيخ محمد عبده في مقدمة شرحه على انهج البلاغة»:

«وقد جمع الكتاب ما يمكن ان يعرض للكاتب والخطيب أغراض الكلام، فيه الترغيب والتنفير والسياسات والجدليات، والحقوق، وأصول المدنية، وقواعد العدالة، والنصائح والمواعظ، فلا يطلب الطالب طلبته إلا ويرى فيها أفضلها، ولا تختلج فكرة إلا وجد فيها أكملها». \_ وقال محمد حسن نائل المرصفي: و"نهج البلاغة، ذلك الكتاب الذي أقامه الله حجة واضحة، على أن علياً كان أحسن مثال حي لنور القرآن وحكمته، وعلمه وهدايته، وإعجازه وفصاحته.

اجتمع لعلي في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبار الحكماء، وأفذاذ الفلاسفة، ونوابغ الربانيين، من آيات الحكمة السابغة، وقواعد السياسة المستقيمة، ومن كل موعظة باهرة وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر، وحسبنا ان نقول إنه الملتقى الفذ الذي التقى فيه جمال الحضارة، وجزالة البداوة، والمنزل المفرد الذي اختارته الحقيقة لنفسها منزلاً تطمئن فيه، وتأوي إليه بعد أن رئت بها المنازل في كل لغة.

ـ وأوجز الشيخ ناصيف اليازجي في قوله فأبدع إذ قال:

أقرانك في العلم والأدب، وصناعة الإنشاء فعليك بحفظ القرآن و"نهج البلاغة".

ـ وقال الشيخ أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي:

"نهج البلاغة" الكتاب المشهور الذي جمع فيه السيد المرتضى (كذا) الموسوي خطب الأمير كرم الله رجهه وكتبه ومواعظه وحكمه وسمي "نهج البلاغة" كما أنه قد اشتمل على كلام يخيل أنه فوق كلام المخلوقين، دون كلام الخالق، عز وجل، قد اعتنق مرتبة الإعجاز، وابتدع أبكار الحقيقة والمجاز ولله در الناظم حيث يقول فيه:

ألا إن هذا السفر الهج البلاغة»

لمنتهج العرفان مسلك، جلي على قمم من آل حرب ترفعت

(كجلمود صخر حطة السيل من علٍ)

 وثمة كلمة للأستاذ أمين نخلة في مقدمة كتابه «ماثة كلمة من كلام الإمام على، قال فيها:

«إذا شاء أحد أن يشفي صبابة قلبه من كلام الإمام فليقبل عليه في «النهج» من الدفة إلى الدفة وليتعلم المشي على ضوء «نهج البلاغة».

ـ وقال محمد أمين النووي في كتابه «جولات إسلامية»:

لقد كان على في خطبه المتدفقة، يمثل بحراً خضماً من العلماء الربانيين وأسلوباً جديداً لم يكن إلاّ لسيد المرسلين، وطرق بحوثاً من التوحيد لم تكن تخضع في الخطابة إلا لمثله، فهي فلسفة سامية لم يعرفها الناس قبله، فدانت لبيانه، فسلست في منطقه وأدبه.

وقال: «حفظ على القرآن كله، فوقف على أسراره، واختلط به لحمه ودمه، والقارىء يرى ذلك في «نهج البلاغة» ويلمس فيه مقدار استفادة على من بيانه وحكمته».

 «.. وهكذا نجد في كلام علي الدين والسياسة والأدب والحكمة، والوصف العجيب، والبيان الزاخر».

- أما عباس محمود العقاد فقال في كتابه "عبقرية الإمام»:

«في كتاب نهج البلاغة» فيض من آيات التوحيد والحكمة
 الإلهية تتسع به دراسة كل مشتغل بالعقائد، وأصول التأليه وحكم
 التوحيد».

ـ وأما محمد محيي الدين عبد الحميد لم يستطع إلا أن يقول:

«(نهج البلاغة) هو ما اختاره الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو الكتاب الذي ضم بين دفتيه عيون البلاغة وفنونها، وتهيأت به للناظر فيه أسباب الفصاحة ودنا منه قطافها، إذ كان من كلام أفصح الخلق ـ بعد رسول الشي منطقاً وأشدهم اقتداراً، وأبرعهم حجة، وأملكهم لغة يديرها كيف شاء الحكيم الذي تصدر الحكمة عن بيانه، والخطيب الذي ملأ القلب سحر بيانه، العالم الذي تهيأ له من خلاط الرسول، وكناية الرحي، والكفاح عن الدين بسيفه ولسانه منذ حداثته ما لم يتهيأ لأحد سواه».

ـ ونعود إلى الدكتور جورج جرداق، إذ نقلنا رأيه في الإمام علي فننقل هنا، رأيه في نهج البلاغة وهو يقول<sup>(١)</sup>:

"فهج البلاغة آخذ من الفكر والخيال والعاطفة آيات تتصل بالذوق الغني الرفيع ما بقي الإنسان وما بقي له خيال وعاطفة وفكر؛ مترابط بكياته متساوق، متفجر بالحس المشبوب والإدراك

انظر كتاب الفلسفة الإسلامية.

البعيد، متدفق بلوعة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق إلى معرفة ما وراء هذا الواقع؛ متألف يجمع بين جمال الموضوع وجمال الاخواج حتى ليندمج التعبير بالمدلول، والشكل بالمعنى، إندماج الحرارة بالنار والشوء بالشمس والهواء بالهواء، فما أنت إزاء إلا ما يكون المرء قبالة السيل إذ ينحدر والبحر إذ يتموج والربح إذ تطوف، أو قبالة الحدث الطبيعي الذي لا بد له أن يكون بالشوورة إلى غير كؤن».

ديان لو نطق بالتقريع لانقض على لسان العاصفة انقضاضاً! ولو هدد الفساد والمفسدين لتفجّر براكين لها أضواء وأصوات! ولو انبسط في منطق لخاطب العقول والمشاعر فأقفل كل باب على حجّة غير ما يتبسط فيه! ولو دعا إلى تأمّل لرافق فيك منشأ الحس وأصل التفكير، فساقك إلى ما يريده سوقاً، ووصلك بالكون وصلاً، ووحد فيك القوى للإكتشاف توحيداً، وهو لو راعاك لأدركت حنان الأب ومنطق الأبوة وصدق الوفاء الإنساني وحرارة المحبة التى تبدأ ولا تتهى!

أما إذا تحدث إليك عن بهاء الوجود وجمالات الخلق وكمالات الكون، فإنما يكتب على قلبك بمداد من نجوم السماء!».

«أحس علمي إحساساً مباشراً عميقا بين الكاننات روابط لا تزول إلا بزوال هذه الكاثنات، وأن كل ما ينقض هذه الروابط ينقض معنى الوجود ذاته».

«بيان هو بلاغة من البلاغة، وتنزيل من التنزيل، بيان اتصل

بأسباب البيان العربي ما كان منه وما يكون، حتى قال أحدهم في صاحبه إن كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق».

\_ وأكثر إنصافاً قول المستشرق الفرنسي هنري كوربال في «النهج»، فإذا كان جورج جرداق، وهو مسيحي، قال ما قال في «النهج» فإنه عربي تربطه بالإماه، شخ صلة الإنتماء القومي ولكن هنري كوربال لم يكن عربياً ولم تربطه بالإمام علي أية رابطة سوى نظرته الموضوعية المنصفة إلى ما ضمّه «النهج» من روائع خلّدها التاريخ، لنقراً قول هذا الرجل المنصف هنري كوربال:

وتأتي أهمية هذا الكتاب (أي النهج) بالدرجة الأولى؛ بعد القرآن وأحاديث النبي، ليس بالنسبة للحياة الدينية في التشيع عموماً وحسب، بل بالنسبة لما في التشيع من فكر فلسفي، ويمكن اعتبار نهج البلاغة منهلاً من المناهل التي استقى منها المفكرون الشيعة .. وإنك لتشعر بتأثير هذا الكتاب بصورة جمّة من الترابط المنطقي في الكلام؛ ومن استنتاج السليمة؛ وخلق بعض المصطلحات التقنية العربية التي أدخلت على اللغة الادبية والفلسفية فأصفت عليها غنى وطلاوة، وذلك أنها نشأت مستقلة عن تعريب النصوص اليونانية».

## التعريض بالصحابة:

إن رابع عكازة تعكز المشككون عليها بنسبة ما في «نهج البلاغة» إلى الإمام علي على «التعريض بالصحابة»؛ فقد وقفنا على قول محمد محيى الدين عبد الحميد في مقدمته على «النهج» قبل الرد على محمد محيي الدين عبد الحميد ومن تعكز على مثل عكارته يحسن بنا أن نتعرف على «الصحبة» لغة واصطلاحاً بشيء من الإيجاز؛ فالصحبة لغة: هي المعاشرة. وتطلق على المعاشرة في الزمن القليل والكثير، ولذلك قبل صحبت فلاناً حولاً وشهراً ويوماً وساعة، فيوقع إسم القليل على ما يقع منها كثير، وتقع بين المؤمن والكافر، كما تقع بين المؤمن والمؤمن، قال تعالى: ﴿قَالَ لَمْ صَاحِبُورُهُو هَاوِيُهُ أَكْثَرَتَ إِلَيْكَ مشركي قريش: ﴿مَا شَلَ مَاحِبُهُ وَمَا غَوَىٰ ﴿ مَنْ اللهِ مَا تعالى مخاطباً مشركي قريش: ﴿مَا شَلَ مَاحِبُهُ وَمَا غَوَىٰ ﴿ ﴾ (١٠). وقال تعالى :

وقال فل وقد أشير عليه بقتل عبد الله بن أبي رأس المنافقين؛ «بل نحن صحبته، ونترفق به ما صحبنا ولا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه».

وطبيعي أن من صحابة رسول الله الله الله على درجة

سورة الكهف، الآية: ٣٧.

<sup>(</sup>٢) سورة النجم، الآية: ٢.

<sup>(</sup>٣) سورة سبأ، الآية: ٤٦.

واحدة من الإدراك المعرفي، بل حتى من الإخلاص والإيمان؛ ففيهم من بقي على صلته الروحية والإيمانية بالرسول المظيم فكان ففيهم من نكص عن قيم السلم والحرب وفي الرقة والشدة، وفيهم من نكص عن قيم المعوة المحمدية وأدار وجهه عنها لينشغل بمغريات الدنيا، وهذا الفريق ما تحدث عنه البخاري في صحيحه؛ إذ روى عن إبن مسعود: قال النبي أن أن فرطكم على الحوض ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم، إختلجوا دوني، فأقول: ربي أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك «وفي رواية سهل بن سعد.. فأقول سحقاً لمن بذل بعدي».

وقد نزلت في ذلك الفريق آيات كريمات تصفهم بأنهم:

﴿ آَنَعُوا الْوَلْمَنَةُ ﴿ آَنَ وَ ﴿ أَفَكُمُوا سَمِيكًا مِرَانًا وَكُفُرًا وَتَقْرِيعًا بَيْنَ الْفَلْمَنَةُ الْوَلِيمِ الْمُعْرِضُوا الْفَلِيمُ الْمُعْرَضُوا مَنْهُمْ إِنَّهُمْ يِنْمُ وَالْمَهُمْ جَهَنَّمُ جَالًا بِمَا كَانُونُ مَنْهُمْ اللّهِمْ يِنْمُونُوا مَنْهُمْ وَالْمَوْمُومُ جَهَنَّمُ جَالًا بِمَا كَانُونُ لِكُمْ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُمْ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمُ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُمُ اللّهُمْ اللّهُمُ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُمْ اللّهُمُ ال

وإذا كانت ثمة إشارات تعريضية ببعض الصحابة في "نهج

<sup>(</sup>١) سورة التوبة، الآية: ٤٨.

<sup>(</sup>٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

<sup>(</sup>٣) سورة التوبة، الآيتان: ٩٦ ـ ٩٦.

البلاغة»، فالقرآن الكريم \_ كما مر بنا \_ قد عرّض بهم وهو سبق «النهج»، فضلاً عن أن أصحاب الصحاح والأسانيد المعتبرة قد نقلوا لنا كثيراً من ذلك التعريض؛ فالإمام ليس وحده من عرض بالمنافقين من الصحابة، فما جاء في «النهج» إذن، (يصح صدوره عن مثل الإمام على) بعكس ما تصور محمد محيى الدين عبد الحميد وغيره من المشككين، لأن أصحاب رسول الله الله الله الله الله بينا \_ ليسوا على درجة واحدة من الإيمان والإخلاص، والصحابة أنفسهم تلاعنوا وتسابوا وتناقدوا فيما بينهم، وهذا ليس بالأمر الغريب، لأن مشاربهم مختلفة ودخولهم في الإسلام لم يكن -أصلاً \_ متفقاً تمام الإتفاق في الهدف والمرمى، فضلاً عن أن لكل إنسان رؤيته في تفاصيل الحياة الفكرية \_ خاصة \_ لذلك فإن النقد والطعن واللعن، بل حتى التكفير لم يكن هدفه نيل طرف من طرف آخر لغرض النيل فحسب، بل بسبب اختلاف النظرة إلى مفردات الحياة ودرجة الإرتفاع إلى مستوى المتغيرات الجديدة. والدعوة المحمدية ليست بالمتغير الجديد السهل على مجتمع كان غارقاً في جهله العقائدي وغافياً غفوة عميقة على معتقداته حتى جاء الإسلام فأحدث خضّة عنيفة في ذلك المجتمع فاستوعب فريق تلك القيم الجديدة بعمق إيماني واضح وتأرجح فريق آخر فجارى المتغيرات الجديدة تلك للحفاظ على مركزه الإجتماعي، وهذا ما يحصل في كل زمان ومكان.

وإلا ماذا نقول عن طلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وغيرهم قبلهم وبعدهم هل يتساوون في درجة الإيمان مع أصحاب رسول الشها أمثال بلال الحبشي وسلمان المحمدي وعمار بن ياسر وعلي بن أبي طالب وغيرهم من الصحابة «النظاف» من تلوث أفكار الجاهلية الأولى؟

فالصحابة «قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم». فهل يقف الإمام علي على الله و والمسلم الأول والمؤمن ال والمجاهد الأول والمدافع الأول عن قيم الإسلام تي لأ

الأول والمجاهد الأول والمدافع الأول عن قيم الإسلام قولاً وعمالاً بشواهد تاريخية لا تُرَد \_ أقول . . هل يقف مثل ذلك الرجل مكتوف اليدين حيال ما يرى من افتئات على الإسلام وحرف مبادئه ومحاولة إفراغه من محتواه من قبل أولئك اللين صحبوا رسول الله في زمناً قل أو كثر فسقوا بر «الصحابة»؟

إن التاريخ حفظ لنا، وما يزال يسجل شواهد عن أن كثيراً ممن فجروا الثورات وأحدثوا الإنقلابات السياسية في هذا القطر أو ذلك وفي هذا العصر أو غيره، كانوا في البداية (أصحاباً) تربطهم "صحبة" الوسيلة والغاية، إلا أن عقدهم سرعان ما ينفرط بعد تلك الثورات والإنقلابات فتبدأ السقوطات على الطريق وتبدأ التصفيات الجسدية والسياسية والفكرية عموماً فيما بينهم، فماذا السمى ذلك؟

إنه قانون الحياة الطبيعي لأن الناس كلهم ليسوا سواء في النظر والرأي والمشرب والإنحدار الطبقي والنّسبي، وعند انخراطهم في بوتقة الثورة أو الإنقلاب نراهم يختلفون حول هذه المسألة أو تلك فيتساقطون على الطريق، لذلك قيل في المصطلح السياسي «الثورة تأكل أبناءها».

فإذا ما عرفنا ذلك فإنه سيتوضح لنا، بيسر، أن صحابة الرسول الله و الإدراك الرسول الله عن الوعي والإدراك

والاستيعاب ـ لا بد ـ والأمر كذلك ـ أن يختلفوا فيما بينهم، على هذه المسألة أو تلك، وإذا ما علمنا أن ثورة الإسلام تفوق أية ثورة قبلها وبعدها لما أحدثته من انقلاب جذري في الكم والكيف، أدركنا فوراً أن السقوطات على الطريق أمر طبيعي أيضاً.

لذلك إن أي نقد أو "تعريض"، كما يسمونه، لأولئك الذين لم يستطيعوا مواجهة معطيات الثورة، أمر طبيعي كذلك.

وإذا ما عدنا إلى «نهج البلاغة» نجد أن «جميّع التعريض والسباب \_ على حد تعبيرهم \_ ما هو إلا نقد بنّاء، ووصف للأعمال، بلغة مهذبة، وألفاظ متزنة لم يخرج بها عن حق، ولم يدخل فيها بباطل، ونظرة واحدة في ثنايا الكتاب تغني عن سرد الشواهد، وتسطير الأدلة».

وإذا ما وجد في ثنايا «النهج» ما يسمونه «التعريض»، وهو نقد كما بينا، فإن في «النهج» إشادة بالصحابة الذين ترسموا خطى رسول الله في وساروا على منهجه حتى النهاية، كقوله الله :

القد رأيت أصحاب محمد (فما أرى أحداً منكم يشبههم". وقوله ﷺ:

«وأوصيكم بأصحاب محمد الذين لم يحدثوا حدثًا ولم يأووا محدثًا ولم يمنعوا حقًا، فإن رسول الله أوصانا بهم ولعن المحدث منهم ومن غيرهم».

إذن فليس كل صحابي منزهاً من الذم، وليس كل صحابي

محرماً من الثلب، لذلك فلا مانع - أبداً - أن يذكر علي بالذم والثلب من يستحق ذلك منهم، خصوصاً أن بعضهم قد شهر السلاح بوجهه وأعلن الحرب عليه وكان يود قتله وسفك دمه مهما كانت الوسائل وبأي سبيل كان.

ومن هنا نرى أن كلمات الذم هذه لم تكن بالشكل الذي «لا يليق صدورها عن رجل مثل علي في دينه وعلمه وتقواه» كما يزعم محمود محمد شاكر، ولم تكن ما يجب إنكاره «تنزيهاً لعلي عن الهبوط إلى هذا المستوى»، كما يدعي الدكتور شفيع السيد.

فهل يُعد ذم الناكثين والقاسطين والطعن في المارقين والمنحرفين عملاً منافياً للتقوى، ومخالفاً لأحكام الدين؟

لذلك فلم يكن من المستبعد أن يذم علي هؤلاء وأشباههم، وليس في ورود مثل هذا الذم في كلامه ما يحمل على الشك في انتساب ذلك الكلام إليه، خصوصاً أنه قد أثنى على الصحابة الملتزمين الإثبات ثناءً جميلاً بلغ حد التأوّه والحنين على فراقهم وعلى حنينه عليهم لأنهم «تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الغرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة.. الغ».

أيكفي ذلك دليلاً على أن ما في «النهج» للإمام علي ﷺ، وإن عكازة «التعريض» منخورة لا بد أن تُسقط صاحبها يوماً ما فيدك ما كان عليه من خطأ في الرأي وقصور في النظرة. وإذا كان ذلك لا يكفي نقولها بصريح العبارة: إن الإمام علياً ﷺ كان يعني ما يقول، وما قاله كان من إفراز معاناته من حق اغتصبوه منه؛ فخطبته «الشقشقية» التي أغضبتهم وبسبها صاروا يشككون ب

«النهج» لأنه كان مخزوناً من صدق المعاناة، وليس كما يدعي «صبري ابراهيم السيد» في كتابه «تحقيق وتوثيق نهج البلاغة» إذ يقول:

اويبدو أن اشتداد التشيع لعلي أعمى شبعته عن حق السلف الصالح، فقالوا فيهم ما لايقبله عقل ولا يؤيده تاريخ. وظنوا أن مكانة علي لا ترتفع إلا بالحط من قيم هؤلاء حطاً لا يقبله منصف، ولا يرضى به على نفسه.

فما أودع خطبته «الشقشقية» إن هو إلا أمر في غاية المعقولية، ومن «إيداعات» الإمام الله وليس «دساً في كلام مثبوت الرواية معروف للقدماء حتى يجوز على العقول ويصعب فيه التمييز».

وأي رجل في موقع الإمام علي من حيث قرابته من الرسول وإسهاماته في الدعوة الإسلامية وشجاعته وعلمه وحصوله على الوصية، رسول الشي بأمر من الله، جلت قدرته، في (غدير خم) بأن يكون اولي كل مؤمن ومؤمنة». . أقول. . أي رجل في موقعه وموقفه كان يفعل أكثر مما قاله الإمام علي في «الششقية» ولكن الإمام علي خاف على الإسلام أن ينفرط على المسلم أن ينفرط حباته في أيدي الجاهلية الأولى في اسكت، على مضض، ولكن سكوته ذاك لا يعني رضاه، ولا يعني أنه ملزم أن يظهر ما يعتلج في صدره، لاسيما وهو إبن بيت النبوة والمسلم الأول والمؤمن الأول وصاحب الخندق الذي قال عنه الرسول في يومها: «خرج الإيمان كله إلى الكفر (أو الشرك) كله، وكان

الخلفاء الثلاثة شهوداً على موقفه ذاك، إذ لو أخذناه وحده شاهداً على أحقيته بالخلافة، لكفى، إذ كانت معركة الخندق فيصلاً حاسماً بين أن يكون الإسلام أو لا يكون، فنبتت أركانه واتسع بغضل سيف على بن أبي طالب وشجاعته وغيرته على التكليف الإلهي. فأية غرابة في كلامه في غي خطبته الشقشقية؟ أليست هي تشخيص لواقع حصل؟ ألم يحصل ذلك في بيعة السقيفة والرسول هي مسجى في فراشه وعلي في إلى جانبه وحده؟ أكثير على الإمام علي في أن يقول: "وإنه (أي أبو بكر) ليعلم أن محلي منها (أي من الخلافة) محل القطب من الرحى. ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى القطب؟

ألا يدل ذلك على أمرٍ (قد بُيَّت في ليل) مما دعا الإمام أن يقول:

.. فيا عجباً بينا هو (أبو بكر) يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر (عمر بن الخطاب) بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيَّراها في حوزة خشناء، يغلظ كلامها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم فمني الناس لعمر الله، بخيط وشِماسٍ وتلون واعتراض؟.

ألم تكن تلك الصورة فوتوغرافيا لمسلسل تظهر خطوطه فيما بعد، بوضوح إنه تآمر ليس على الإمام علي ﷺ فحسب، بل على الإسلام برمته لحرفه عن نقائه وصفائه وصدةه وجذره الإلهي.

ودليلنا الأول: ما حصل في (يوم السقيفة).

ودليلنا الثاني: ما أوصى الأول للثاني.

ودليلنا الثالث: دعوة عمر (رجال الشورى) وعهده إليهم باختيار الخليفة بعده.

وقد عرف الإمام هذا (المقلب) بثاقب بصيرته فصوره بكلمات قصار إذ قال:

«فصغی رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن».

وكان الإمام ﷺ يقصد في كلامه كلاً من سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن أبي بكر وعثمان، الذي قال فيه: "إلى أن قام ثالث القوم، نافجاً حضنيه بين نئيله ومعتلفه، وقام معه بنو أمية، يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته».

ودليلنا الرابع: ما أسفرت عنه الأحداث بعد مقتل عثمان إذ كشف (بنو أمية) عن أوراقهم، وكان ما كان في حرب الجمل وصفين حتى مقتل الإمام الله فإذا كانت تلك المعاني التي وردت في الشقشقية «لا تتقق وسيرة علي مع الخلفاء، ولا تتلاءم مع ما أثر عنه من أقوال كما يقول السباعي بيومي في كتابه «تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي».

فنحن نقول: إن ما جاء في الشقشقية، شيء ـ وهو إفراز معاناة ـ والانعكاسات السلوكية للإمامﷺ على مجريات الأحداث ومنها علاقته بمن تولوا الخلافة شيء آخر، إذ أنه كان في ذلك بعيد النظر يريد منه الحفاظ على قيم الإسلام ومعانيه وعدم انفراط حباته ـ كما قلنا سابقاً ـ ولا يعني الرضا عنهم وعن مسلسلهم كما يُصُور للبعض.

## ٥ ـ الوصي والوصاية:

إن هذا الإدعاء يفتقر إلى الدليل العلمي كسابقه لذلك سنرد على مطلقيه ـ كعادتنا ـ بالدليل القاطع والمقنع فنقول:

إن مصطلح (الوصي والوصاية) ضارب بجذوره في عهد التاريخ العربي قبل "نهج البلاغة» بقرون. وكتب التفسير أو الحديث أو التاريخ أو السير والأدب مليئة بذلك المصطلح.

جاء في صحيح البخاري ومسلم عن رسول الله على قوله:

الما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلته إلا ووصيته مكتوبة عنده. مما جعل عمر يقول: الها مرّت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله قل قال ذلك إلا وعندي وصيتي،

وجاء في مشكاة الأنوار قوله ﴿: (من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية». وقوله ﴿: (من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته وعقله». «أما إنك ستلقى بعدي جهداً».

قال على:

ـ أفي سلامة ديني؟

قال:

ـ "في سلامة دينك".

ومما أخرجه ابن عساكر والمحب الطبري في (الرياض)... قولهﷺ لعلي:

> ـ ضغائن في صدور قوم لا يبدونها إلا من بعدي.. ونقل لنا صاحب الغدير قولهﷺ:

ريا على إنك ستبتلى بعدي فلا تقاتلن».

صدق رسول الله فقد عانى ما عاناه الإمام علي من خصومه بعد النبي الكريم في وهو لم يسلم من سهامهم حتى بعد موته وها هم يوجهون سهامهم إليه في معطى من معطياته الفكرية الا وهو (نهج البلاغة، فيشككون في نسبته إليه لا (إقحام) مصطلح (الوصية والوصاية) في طياته. وقد نسوا، أو تناسوا، أن ذلك المصطلح ولد في (مبدأ الدعوة الإسلامية قبل ظهوره وحين أنزل الله تعالى عليه في (وَبَدُرُ عَبْرُوَكُ الْأَوْبِي في في (() فدعاهم إلى دار عمه أبي طالب وهم يومئذ أربعون رجلاً أو ينقصون، وفيهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب. إذ قال في النبي بني

<sup>(</sup>١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جنتكم به، جنتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرني على هذا على أن يكون أخي ووصبي وخليفتي فيكم؟ه.

فأحجم القوم غير علي وكان أصغرهم إذ قام وقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه فأخذ رسول الله برقبته وقال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطبعوا…».

ونقل لنا محمد بن جرير الطبري في (الولاية) أن الرسول في قال: «إن الله تعالى أنزل إليّ وَلِيَّةَ مَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكُ وَلَيْ وَلِيَّةً وَإِلَّ أَنْ أَنْ اللّهِ وَلَيْكُ أَنَّهُ يَقِيمُكُ بِنَ النّابِيُّ (١٠). وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقول في هذا المشهد. وأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي».

وقولهﷺ: "يا معاشر الناس، هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بيّ.

وجاء في كفاية الطالب أنه الله قال: "علمي وعاء علمي ووصيي وبابي الذي أوتى منه.

وفي (إكمال كنز العمال) جاء: إن رسول الله قال لفاطمة الله الأرض اطلاعة فاختار أباك فبعثه نبياً، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك وأوصى إلى فاتخذته وصياً».

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

وفي فرائد السمطين جاء قوله ﴿ انَّا أَفْصَل أَنْبِياء اللهُ ورسله، وعلي بن أبي طالب أفضل الأوصياء..، وقوله ﴿ ا اعلي أخي ووزيري ووصبي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن ومؤمنة .

وعن سلمان المحمدي ـ كما جاء في (الولاية) لمحمد بن جرير الطبري ـ قال:

«قلت لرسول الشﷺ: يا رسول الله إنه لم يكن نبي إلا وله وصي فمن وصيك؟ قال وصيي وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي، مؤدي ديني ومنجز عداتي علي بن أبي طالب».

وعن المصدر نفسه قال النبي الله النبي الدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين، قال أنس قلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمته، إذ جاء علي فقال: من هذا يا أنس؟ قلت: علي، فقام مشتشراً واعتقه.

 "إن الله عز وجل عهد إلي في علي عهداً . . . إن علياً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من طاعتي، وهو الكلمة التي ألزمها المتقين من أحبه أحبني، ومن أبغضه أبغضني فبشره بذلك، فجاء علي فبشرته بذلك، فقال: يا رسول الله أنا عبد الله وفي قبضته، فإن يعنبني فبذنبي وإن يتم الذي بشرني به فالله أولى به، قال قلت قلت: اللهم اجل قلبه، واجعله ربيمة الإيمان، فقال ربي عز وجل، قد فعلت به ذلك، ثم قال تعالى: إني مستخصه بالبلاء، وجل ووصبي، قال تعالى: إنه شيء قد سبق إنه مبتلى ومبتلى به.

وعن أحمد بن حنبل في مسنده: قال أنس بن مالك: قلنا لسلمان: سل النبي على وصيه فقال سلمان: يا رسول الله مَن وصيى وصيُك؟ فقال: يوشع بن نون، قال : "وصيي ووارثي يقضى ديني، وينجز موعدي علي ابن أبي طالب.

وذكر الخوارزمي حديثاً طويلاً روته أم سلمة جاء في آخره: «إن الله اختار من كل أمة نبياً واختار لكل نبي وصياً فأنا نبي هذه الأمة وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمني من بعدي».

وفي ينابيع المودة عن أبي الطفيل عامر بن وائلة وهو آخر من مات من الصحابة قال: قال رسولﷺ: "يا علي أنت وصيي حربك حربي وسلمك سلمي...».

وفي كتاب مودة القربى للهمداني: "عن خالد بن معدان رفعه: "إن مَن أحب أن يمسي في رحمة الله فلا يدخل قلبه شك بأن ذريتي أفضل الذريات، ووصبي أفضل الأوصياء».

وفي المحاسن والمساوىء للبيهقي: إن النبيﷺ قال:

«هبط عليّ جبرئيل الله يوم حنين فقال: يا محمد إن ربك تبارك وتعالى يقرئك السلام وقال: إدفع هذه الأترجة إلى ابن عمك ووصيك علي بن أبي طالب الله فلافعتها إليه، فوضعتها في كفه، فانفلقت نصفين فخرج منها رق أبيض مكتوب فيه بالنور: من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالبه.

وجاء في المنتقى من تاريخ بغداد لابن الحداد الحنفي: في الحديث ينادي مناو (أي يوم القيامة) هذا علي بن أبي طالب وصي رسول رب الحالمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين. الحديث).

وسجل لنا نصر بن مزاحم في كتابه (صفين) شعراً للإمام على وردت فيه كلمة (الوصي)، قالﷺ:

يا عبباً لقد سمعت نكرا

كذباً عملى الله يستنيب الشعرا يستنوق السمع ويغشي البصرا

ما كان يرضى أحمداً لو خبرا أن يقرنوا وصيه والأبترا

ويريد بالأبتر: عمرو بن العاص، إذ نزلت في أبيه الآية: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبَّرُ ۞﴾(١).

سورة الكوثر، الآية: ٣.

أما الخوارزمي فنقل في مناقبه قولهﷺ: «أنا أخو رسول الله ووصيه».

وخطب الإمام : ن ﷺ (كما في مستدرك الحاكم) فقال: (أنا ابن النبي وأنا ابن الوصى).

أما الإمام الحسين ﷺ فقد قال في خطبته يوم عاشوراء:

دأما بعد فانسبوني فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم هي وابن وصيه، وابن عمه، وأول المؤمنين بالله..؟ الخطاة..

كثيرة هي الأحاديث التي وردت فيها كلمة (الوصية والوصي)، ونحن إذا اقتصرنا على ما ذكرنا من أحاديث فلأنني أتوخى المرور بالشواهد والأدلة لئلا أطيل على القارىء الكريم، وغير الأحاديث ثمة آيات قرآنية كثيرة وردت فيها تلك الكلمة

(الوصية) يمكن الرجوع إليها.

أما الشعر العربي، قبل ظهور "نهج البلاغة" فكان هو الآخر قد حمل لنا تلك الكلمة يحسن بنا أن نلم بشيء منه:

قال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

ومنسا عملى ذاك صاحب خميم

وصاحب بدرٍ يسوم سالت كستائب. وصي المنسبي المصطفى وابن عممه

فسمسن ذا يسدانسيسه ومسن ذا يسقساربسه

وقال عبد الرحمن بن جعيل:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظةٍ

على الدين معروف العفاف موفقا

عملياً وصي المصطفى وابن عمه

وأول من صلى أخما المديسن والمتقى

ومن البدريين الهيثم بن التيهان إذ قال:

قل للزبير وقل لطلحة إننا نحن الذين شعارنا الأنصار نحن الذين رأت قريش فعلنا يوم القليب أولئك الكفار كننا شعار نبيننا ودثاره يفديه منا الروح والأبصار إن الوصي إمامنا وولينا برح الخفاء وباحت الأسوار

وخرج يوم الجمل غلام من بني ضبة شاب معلم من عسكر عائشة وهو يقول:

نحن بني ضبة أعداء علي ذلك الذي يعرف قدماً بالوصي وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل علي بالعمي

وقال حجر بن عدي الكندي في ذلك اليوم أيضاً:

يا ربنا سلم لنا عليا سلم لنا المبارك المرضيا المؤمن الموحد التقيا لا خطل الرأي ولا غويا بلهادياً موفقاً مهديا ثم ارتضاه بعده وصيا

أما خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وكان بدرياً فقد قال يوم الجمل: يا وصي النبي قد أجلت الحر ب الأعادي وسارت الأظعانُ واستقامت لك الأمور من الشا م وفي الشام يظهر الإذعانُ حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا حيث كنا وكمانوا

وأما كتب التاريخ فقد نقلت لنا في طياتها مصطلح (الوصي والوصية) هي الأخرى يجدر بنا الوقوف عندها بمرور سريع:

وقال واضح أيضاً: "وقال مالك بن الحارث الأشتر لما بويع أمير المؤمنينﷺ:

«أيها الناس هذا وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء الحسن المضاء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل؟.

أما أبو جعفر الإسكافي المعتزلي فقال في (نقض العثمانية):

سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

«وقال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

وإن ولي الأمر بعد محمد علي، وفي كل المواطن صاحبه وصي رسول الله حقاً وصنوه وأول من صلى ومن لان جانبه

ونقل لنا الخوارزمي في مناقبه كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية قبل أن يتفقا جاء فيه:

• فأما ما دعوتني إليه من خلع ربقة الإسلام من عنقي، والتهور في الضلالة معك، وإعانتي إياك على الباطل، واختراط السيف في وجه علي وهو أخو رسول الله ووصيه ووارثه، وقاضي دينه ومنجز وعده وزوج ابته.

وأما المسعودي، في مروج الذهب، فقد نقل لنا كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية، وإليك ما يتعلق بالوصية قوله: «فكيف ـ لك الويل ـ تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله ووصيه».

ومما نقلت لنا المصادر الموثوق بها أقوال بعض المشاهير ممن تأخر عن عصر النبوة والخلافة الراشدية وقد ورد فيها مصطلح الوصية والوصاية.

قال الكميت بن زيد الأسدي في الهاشميات:

والوصي الذي أمال التجوبي ب عرش أصة لا تهدام كان أهل العفاف والمجد والخير ونقض الأمور والإبرام والوصي الولي والفارس المعلم تحت العجاج غير الكهام ووصي الوصي ذي الخطة الفصل ومردي الخصوم يوم الخصام

وقال قيس بن الرقيات:

نحن منا النبي أحمد والصد يق منا النقي والحكماء وعلي وجعفر ذو الجناحين هناك (الوصي) والشهداء

وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد ابن الحنفية:

تحبر من لاقيت أنك عائد

بل العائذ المحبوس في سجن عارم وصى النبى المصطفى وابن عمه

وفكاك أعناق وقاضي مغارم

. وقال شارح الهاشميات محمود محمد الرافعي عن البيت الثاني:

«وأراد ابن وصي النبي، والعرب تقيم المضاف إليه في الباب مقام المضاف..».

ولكن في تذكرة الأمة روي البيت هكذا:

سممي نسبي الله وابـن وصـيـه وفكـاك أغـلال وقـاضـي مـغـارم فانتفت الحاجة إلى تخريج شارح الهاشميات.

وقال السيد إسماعيل بن محمد الحميري في قصيدته المذهبة التي شرحها السيد المرتضى:

وأن قلبي حين يذكر أحمداً ووصي أحمد نيط من ذي مخلب أما دعيل الخزاعي - كما جاء في معجم الأدباء - فقال في رثاء الحسين ::

رأس ابن بنت محمد ووصيه يا للرجال على قناة يُرفَع وأما الكتب التي ألفت في الوصية في القرون الأولى والصدر الأول قبل القرن الرابع - أي قبل صدور انهج البلاغة» -فكثيرة نذكر منها ما صدر في القرنين الأول والثاني:

١ ـ كتاب الوصية لهشام بن الحكم المشهور.

٢ ـ الوصية للحسين بن سعيد الأهوازي.

٣ \_ الوصية للحكم بن مسكين المكفوف.

٤ \_ الوصية لعلي بن المغيرة.

٥ ـ الوصية لعلي بن الحسن بن فضال.

٦ \_ الوصية لمحمد بن علي بن الفضل.

٧ ـ الوصية لإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي.

أما ما صدر في القرن الثالث نذكر منها:

١ ـ الوصية ليحيى بن المستفاد.

٢ ـ الوصية لمحمد بن الصابوني.

٣ ـ الوصية لمحمد بن الحسن بن فروخ.

الوصية والإمامة لعلي بن الحسين المسعودي صاحب مروج الذهب.

٥ \_ الوصية لعلي بن رئاب.

٦ \_ الوصية لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي.

٧ ـ الوصايا لمحمد بن علي السلحفاتي المشهور.

ذلك غيض من فيض، ومن أراد الاتساع فليراجع كتاب مصادر نهج البلاغة وأسانيده للشيخ عبد الزهراء الحسيني الخطيب ١٩٩/١ ـ ١٧٩. فقد اعتمدناه في كثير من شواهدنا جزاء الله خيراً.

فهل مزقت تلك الشواهد الظلام الذي غطى على عيون الذين ادّعوا إن الرضي انفرد بذكر الوصية والوصاية؟ وهل أذابت الضباب الذي حال دونهم لرؤية الحقيقة وسط أشعة الشمس الساطعة؟

أرجو أن أكون قد أسهمت مع من أسهم، في إلقاء الضوء على واحدة من أهم تشكيكات المشككين في نسبة الهج البلاغة» إلى الإمام على على على على على يطلب الهداية ﴿ وَأَنَّا الزَّيْدُ يُذَهِّبُ جُمَّالًةٌ وَأَنَّا مَا يَنَتَعُ النَّاسَ فَيَتَكُنُ فِي ٱلْأَرْضُ ﴿ الْ صدق الله جَلَت قدرته.

# ٦ - الإطناب والإيجار:

ومما دعاهم إلى التشكيك في نسبة ما في "نهج البلاغة" إلى الامام علي هل وأطال، الإمام علي هل والكتب وأطال، كالقاصفة والأشباح وعهد مالك بما لم يكن مألوفاً في صدر الإسلام").

<sup>(</sup>١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

<sup>(</sup>٢) أثر التشيع في الأدب العربي.

في الحقيقة إن طول الخطب وقصرها، أو الإطناب والإيجاز فيها لم يكن مقتصراً على عهد دون آخر، بل إن ذلك يتساوق مع المرحلة والحدث ومتطلباتهما؛ فكلما سخنت المرحلة وتشعب الحدث تطلب الأمر الارتفاع إلى مستواهما والتوفر على مفرداتهما والتوغل في أعماقهما والإحاطة بتفاصيلهما وإماطة اللثام عن مفاصلهما. وهذا يتطلب من القائد استقراء المرحلة والحدث ليستطيع، بالتالي، من وصف الحالة وطرح الحلول، ولا يكون ذلك إلا بالإطالة، أو الإطناب في الكلام، وهو مما تطلبه عصر الإمام على على الله لما فيه من سخونة استثنائية لم تشهدها العهود التي سبقته؛ فهو الله على قصر فترته في قيادة الأمة الإسلامية \_ خاض ثلاث حروب ضارية هي: الجمل وصفّين والنهروان، وواجه أناساً انقلبوا على تعاليم الإسلام المتمثلة بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم، محمدﷺ، وأناساً أغرتهم الدنيا بزخرفها فنكصوا عن جادة الحق، وأُناساً تأرجحوا بين هؤلاء وأولئك.

> فما الذي يفعله الإمام إزاء ذلك كله؟ أليس عليه غير التوجيه والإرشاد والنصح؟ أيكون ذلك بكلمات موجزات قصار؟

حتى القرآن الكريم لم تكن سوره على وتيرة واحدة من الأسلوب؛ فثمة السور القصار جداً، بل والآيات القصار جداً، وثمة السور الطوال، بل والآيات الطوال، كل ذلك لتنسجم مع المرحلة والحدث. فالذين أنكروا على الإمام على هلى أن يكون صاحب "نهج البلاغة» لذلك السبب لم يتوفروا على عصره وما أحاطت به من أحداث وإن كانوا قد اعترفوا - مضطرين - بقبول ذلك بقولهم: 
«نحن لا نقول إن هذا القدر من الطول في الخطب غير مقبول عقلًا ... (١٠).

ولكي لا نترك موضوعنا بالا إسناد تاريخي ـ كما هو منهجنا في البحث دائماً ـ نقول: إن سمة «الطول» في الخطب كانت معروفة ومنتشرة في الجزيرة العربية قبل عهد الإمام علي ﴿ فقد روي أن قيس بن خارجة بن سنان خطب يوماً إلى الليل فما أعاد كلمة ولا معنى (٢٠). وكذلك فعل سحبان وائل عندما وجد أن الضرورة تقتضي الإفاضة في الكلام وهو في مجلس معاوية إذ خطب من انتهاء صلاة الظهر إلى حلول وقت العصر (٢٠)، ولم يقل أحد أن ذلك مخالف للبلاغة أو خارج على أصول الكلام.

ومع إطنابه ذلك كان يوجز في الكلام غاية الإيجاز على ما تقتضيه الحال. وفي ذلك يقول الدكتور زكي مبارك<sup>(2)</sup>: «وسحبان واثل الذي عرف بالتطويل وأنه كان يخطب أحياناً نصف يوم، أثرت عنه الخطب القصيرة الموجزة، وذلك يدل على أن الفطرة كانت غالبة على ذلك العصر، وأن القاعدة المطردة لم تكن شيئاً آخر غير مراعاة الظروف...

<sup>(</sup>١) الإمام علي: أحمد زكي صفوة.

<sup>(</sup>٢) البيان والتبيين.

<sup>(</sup>٣) شرح العيون في شرح رسالة ابن خلدون.

 <sup>(</sup>٤) في كتابة النثر الفني.

إن مسألة الإيجاز والإطناب كانت تجري على مقتضى الحال، فكان الكاتب يوجز تارة ويطنب أخرى على وفق الظروف التي فيها رسالته، وكان من الخطباء من يطيل وكان منهم من يوجز، ولا يرجعون في ذلك إلى قاعدة غير المناسبات التي توجب الكلام، فتضفي مرة بالإطناب وتقضي حيناً بالإيجاز».

فالإمام علي في فضاراً عن أنه عاش تلك الظروف وخالط خطباء ذلك العصر، فهو من قال فيه الرسول الكريم : «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه، وخاطبه مرة قاتلاً: «أنت سيد الفصحاء وسيد البلغاء»، وهو من قال فيه ابن عباس: «ما رأيت \_ قط \_ أذكى من علي بن أبي طالب ؛ وهو من خاطبه عمر: «لا أبقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسر؛ كما قال:

«لولا علي لهلك عمر». ثم هو من قال عنه معاوية: «فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره».

فإذا كان الإمام على الله في الفصاحة والبلاغة والنكاء فمن باب أولى أن يكون متمكناً من أدواته اللغوية تمكن الصيوفي من نقوده؛ فهو يطيل متى رأى أن الموقف يتطلب الإطالة ويقصر على وفق مقتضى الحال، وقد أنصف الدكتور زكي المبارك عندما قال:

"ورسائل علي بن أبي طالب، وخطبه ووصاياه، وعهوده إلى ولاته في "نهج البلاغة" تجري على هذا النمط؛ فهو يطيل عندما يكتب عهداً بيين فيه ما يجب على الحاكم في سياسة القطر الذي يرعاه، ويوجز حين يكتب إلى بعض خواصه في شيء معين لا يقتضي التطويل<sup>١(١)</sup>.

فتشكيكهم، إذن، في هذا الجانب حظه مثل حظه في الجوانب الأخر لم يستقوا فيه إلا من سراب ولم يركبوا إلا ظهور الأرانب.

### ٧ \_ السجع:

والسجع عكازة أخرى تمكز عليها المشككون في نسبة ما في "نهج البلاغة" إلى الإمام علي بن أبي طالب ... فقال محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته على «النهج»: «إن فيه من السجع والتنسيق اللفظي، وآثار الصنعة ما لم يعهده عصر الإمام ولا عرفه، وإنما ذلك طرأ على العربية بعد العصر الجاهلي وصدر الإسلام وافتن به أدباء العصر العباسي، والشريف الرضي جاء بعد ذلك على ما ألفره فصنف الكتاب على نهجهم وطريفتهم، ومع اعترافه بأن "من عرف ابن أبي طالب حامي عرين الفصاحة وابن تلك ـ راح يبطن تشكيكه بكلمات ملفوقة إذ قال: «السجع إذا جاء من غير تصنع وتكلف، ولم تظهر سماجته، ولم يثقل استماعه، كان آية من آيات البلاغة، ودلائل الفصاحة، ومع ذلك فليس ما في الكتاب كله سجعاً وما فيه من السجع فهو مما لم تدع إليه السعة، ولا وأتضاه الكلف بالمحسنات، وأكثره مما يأتي عفواً الصنعة، ولا اقتضاه الكلف بالمحسنات، وأكثره مما يأتي عفواً

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

بلا كد خاطر، ولا تجشم هول، ومثله في عبارات عصره واقع، ومن عرف ابن أبي طالب كان حامي عرين الفصاحة وابن بجدتها لم يعسر عليه السليم».

أما أحمد أمين فقد شكك هو الآخر بنسبة ما في «النهج» إلى الإمام علمي ﷺ إذ قال في فجر الإسلام: "واستوجب هنا الشك أمور ما في بعضه من سجع منمق، وصناعة لفظية لا تعرف لذلك العصر كقوله: "ويعني الإمام ﷺ:

«أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير».

واعتمد في شكه هذا على «هوار» الذي سبق أن شك في نسبته إلى الله جل وعلا. إذ نقل عنه طه حسين في الأدب الجاهلي قوله: «إن ورود هذه الأخبار في شعر أمية بن أبي الصلت مخالفة بعض المخالفة لما جاء في القرآن، دليل على صحة هذا الشعر من جهة، وعلى أن النبي قد استقى منه أخباره من جهة أخرى.

لنناقش هؤلاء عسى أن نتوصل نحن وإياهم إلى منبع الحقيقة الصافي فنرتوي منه الحق والعدل والإنصاف:

 يقول محمد محيي الدين عبد الحميد: إن فيه من السجع والتنميق اللفظي وآثار الصنعة ما لم يعهده عصر الإمام ولا عرفه...».

إذا كان ما قرره محمد محيى الدين عبد الحميد صحيحاً

فماذا نسمي قول الرسول الكريم محمد في اإن الأعمار تفنى والأجسام تبلى، والأيام تطوى والليل والنهار يتطاردان تطارد البريد، يقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد، وفي ذلك ـ عباد الله ـ ما يلهي عن الشهوات، ويرغب في الباقيات الصالحات؟

وماذا نسمي قوله (إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موناً، وإن مع الحياة موناً، وإن مع الحياة الموناً، وإن مع الكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً، وإن لكل شيء رقياً، وإنه لا بد لك من قرين يدفن معك هو حي وأنت ميت، فإذا كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك، ولا تُبعث إلا معه، ولا تُسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً فإنه إن صلح أنست به، وإن فسد لم تستوحش إلا منه وهو عملك.

وماذا نسمي قولهﷺ: "أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصِلوا الأرحام وصلّوا بالليل والنهار والناس نيام».

وماذا نسمي قولهﷺ: اإنما الحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلي».

وقوله ﷺ: «إرجعن مأزورات غير مأجورات».

وماذا نقول عن خطبة أبي بكر: «أستهدي الله بالمهدى، وأعوذ به من الضلال والردى، ﴿مَن يَهْدِ آتَهُ فَهُوَ ٱلْمُهْنَدُّ وَمَن يُشْتِلُوَلَنَ يَجِدَ لَمُ وَلِيَا مُرْشِدًا﴾(١. يُشْتِلُولَنَّنَ يَجِدَ لَمُ وَلِيَا مُرْشِدًا﴾(١.

وعن خطبته: ﴿يَا مَعْشُرُ الْأَنْصَارُ إِنْ شَنْتُمُ أَنْ تَقُولُوا آويناكم

سورة الكهف، الآية: ١٧.

في ظلالنا وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا، قلتم، وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد، وإن طال به الأمد.

وماذا نقول عن خطبة لعمر في الاستسقاء: «اللهم قد ضرع الصغير، ورقَّ الكبير، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السر وأخفى».

وماذا نقول عن خطبة لعثمان خطب بها الناس لما نقموا عليه ما نقموا: «إن لكل شيء آفة، وإن لكل نعمة عاهة، وفي هذا الدين عيابون ظنانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويُسرّون ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون».

وقبل ذلك؛ ماذا نقول عن خطبة قس بن ساعدة الإيادي ومن الرواة لها رسول الله ﴿ نفسه، ومنها(١٠):

«أيها الناس اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتِ آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر، وجبال مرساة، وأرض ملحاة، وأنهار مجراة، إن في السماء مخبراً وإن في الأرض لعراً.. الخ؛.

أليس تلك الأقوال سجعاً ظاهراً وواضحاً؟ ثم أليست هي عصر الإمام؟ وإذا انتهينا من تلك الأقوال وعدنا إلى منبع الإسلام الأول - القرآن الكريم - نجد فيه السجع يشكل السمة الأكثر ظهوراً:

<sup>(</sup>١) النثر الفنى - زكى مبارك.

﴿ فَلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ ۞ اللَّهُ الفَّحَدُدُ ۞ لَمْ بَكِدْ وَلَمْ يُولَدُ ۞ وَلَمْ بَكُنُ لَمْ كَفُواْ أَحَدُ ۞ ( " .

﴿ فُلُ أَعُوذُ بِرَبِ ٱلْفَكَتِي اللَّهِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ. . ﴾ (٢).

﴿ فَلَ أَخُودُ بِرَتِ النَّامِنِ ۞ مَلِكِ النَّامِنِ ۞ إِلَّهِ النَّامِنِ ۞ مِن شَرِّ الْوَسَوَامِنِ الْمَنْشَارِينِ ۞ اَلْذِي بُوْمَتُمِوشُ فِي شَدُورِالنَّامِينِ ۞ مِنَ الْجِئْشَةِ وَالنَّسَامِينِ ۞ ﴾ ٣٠.

﴿وَالْفَخْرِ ۞ وَلِيَالٍ عَشْرٍ ﴾ (١).

﴿ أَلَرْ نَشْرَحُ لَكَ صَدْرُكُ ۞ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ (٥).

إضافة إلى السور: الذاريات، الطور، النجم، الرحمن، الواقعة، . . وغيرها من السور الطوال.

فماذا يعني هذا؟ اليس يعني أن الإمام علياً 

لعصره والعصر الذي سبقه؟ إن ذلك التواصل أمر طبيعي ينسحب
على كل مفردات الحياة، واللغة هي إحدى تلك المفردات، ثم
أهو غريب عن شخصية مثل علي بن أبي طالب 

لله الرسول 

وغيره أنه إمام الفصحاء وسيد البلغاء أن نرث عنه هذا
الإرث المتفرد في تدفقه العفوي الطبيعي، والمتفرد في بنائه

<sup>(</sup>١) سورة الإخلاص، الآيات: ١ \_ ٤.

<sup>(</sup>٢) سورة الفلق، الآيتان: ١ ـ ٢.

 <sup>(</sup>٣) سورة الناس، الأمات: ١ ـ ٦.

<sup>(</sup>٤) سورة الفجر، الآيتان: ١ ـ ٢.

<sup>(</sup>٥) سورة الشرح، الآيتان: ١ ـ ٢.

المعماري المنسجم مع كل عصر في الشكل والموضوع؟ وأين هي آثار الصنعة في قوله ﷺ:

«إن تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر عمى أفتدتكم وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء غشاء أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم؟؟

وقوله الله وهو يخوف فيها أهل النهروان: افأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط، على غير بينة من ربكم، ولا سلطان مبين معكم، قد طوحت بكم الدار، واحتياكم المقدار؟؟.

نحن نقيم الدنيا ونقعدها إذا ما قرأنا لأبي العلاء المعري لزومياته وننبري لشرحها والإشادة بها كتراث عربي (وهي كذلك لا شك) ولكننا نعُد تلك اللزومية المتدفقة بشكل عفوي، المتساوقة مع المفردات التي قبلها والتي بعدها تساوقاً لا تجعلك تحس بأي أثر للصنعة؛ إذ جعل «التقوى» دواء «القلوب» وبصر الأفدة وشفاء الأجساد وصلاح الصدور وطهر الأنفس، وجلاء الأبصار وأمن الفزع وضياء الظلم.

هذه الوحدة الموضوعية العجيبة والوحدة العضوية المتماسكة والجرس الموسيقي الذي تبعثه لزومية الـ «كم» الجميلة المنبعثة من نفس تحترق لتضيء الطريق للآخرين، تبدأ بـ «التقوى» لتعدد لنا تأثيراتها ونتائجها على النفس البشرية والسلوك الاجتماعي، والنظرة الشمولية للحياة. أقول.. إذا ما قرأنا ذلك لعلي بن أبي طالب ﷺ نعُدّه من (آثار الصنعة)

لماذا يا قوم؟ أليست مفردات علي هي ذاتها المفردات المربية التي ورثناها من عصور ضاربة في عمق الزمن؟ ولكنها جاءت على لسانه بعفوية "بحيث تنسجم مع الناحية الصوتية فتجيء على اللسان لليذة الوقع في الآذان، موافقة لحركات النفس، مطابقة للعاطفة التي أزجتها وللفكرة التي أملتها"(").

أليس كذلك؟

قليلاً من التأني والإنصاف في إصدار الأحكام على معطيات رجل كان وما يزال وسيبقى معلماً مهماً، بل ومتفرداً، من معالم حضارتنا وإرثنا الأدبي.

٢ ـ يقول محمد محيى الدين عبد الحميد في مقدمته تلك:

الافتتن به (أي السجع) أدباء العصر العباسي، والشريف الرضي جاء من بعد ذلك على ما ألفوه فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم، اه.

ومعنى هذا الكلام أن الشريف الرضي هو الذي "وضع" هذا السجع لينسجم مع "نهج» معاصريه.

لو ألقينا نظرة فاحصة ودقيقة ومنصفة على مؤلفات الشريف الرضي التي وصلتنا لوجدناها مختلفة عما في «نهج البلاغة» في

<sup>(</sup>۱) تاریخ بغداد.

تركيباتها اللغوية وسياقها العام تمام الاختلاف؛ فالرجل له أسلوبه البحثي النابع من ثقافته اختارها هو لنفسه ومن تأصل في تركيبه الذهني. أما أسلوب النهج فليس فيه ذلك.

إن محتويات «النهج» بما فيها «السجع» كانت وليدة اللحظة والحدث والمعاناة واستشراف آفاق المستقبل، ولكنها كانت مترابطة متماسكة متساوقة مع بعضها، بحيث شكلت بمجموعها وحدة موضوعية واحدة، هي «الله والانسان» هذا أولاً، وثانياً ـ وقد ألمحنا إليه فيما سبق ـ إن الشريف الرضي لو كان واضع ذلك السجع في طيات «نهج البلاغة» لأشار إليه، أو لأفرده ضمن مؤلف يضاف إلى مؤلفاته العديدة، ولو عوفنا أن الرضي يتمتع بالنزام أخلاقي وديني لأدركنا أنه ويحتاط أن ينسب ما لغيره نتيجة ذلك الالتزام. فضارً عن إن جمل السجع تلك تتحدث عن شواهد تاريخية معروفة، كمخاطبة الخوارج بهدف تخويفهم وقد مر ذلك.

وقوله في كتاب إلى عبد الله بن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر: "فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً..».

وقوله لما أغار النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر: «منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، ولا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم، ما تنظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم؟ ولا حمية تحشمكم».

وكتطبيق عملي لما احتاط به الشريف الرضي في نقله قوله ﷺ:

«العين وكاء»(١).

قال الرضي تشه: وهذا من الاستعارات العجيبة.. ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى أمير المؤمنين علي تشه، وقد ذكر ذلك محمد بن يزيد الميرّد في كتاب «المقتضب» في باب اللفظ بالحروف، وفي الأظهر الأشهر أنه للنبي تشه.

وقد احتاط الرضي الله في نقل هذا الحديث في النهج فقال:

«فهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبيﷺ وقد رواه قوم لأمير المؤمنين (وذكر ذلك المبرد. . ».

لا أدري هل يكفي هذا لإثبات أن الشريف الرضي لم يضف «السجع» ليتفق وسمات عصره ونقله نقلاً واثقاً عن لسان إمام الفصحاء وسيد البلغاء علي بن أبي طالب على الإ

فإذا كان لا يكفي فما ذنب من أراد أن يخرق سجف الظلام في طريق من تلفعوا به ولكنهم أخذوا يستجيرون به لئلاً تحرق عيونهم أشعة الشمس.

٣ ـ وقال محمد محيي الدين عبد الحميد: «السجع إذا كان من غير تصنع وتكلف، ولم تظهر سماجته، ولم يثقل استماعه كان آية من آيات البلاغة، ودلائل الفصاحة..»

ماذا يعني بكلامه هذا؟

<sup>(</sup>١) بلاغة الإمام على لأحمد الحوفي.

إن المتبادر إلى الذهن لأول وهلة يظن أن مراده، الإشارة بقول الإمام في هذا الفن (السجع) ولكن بعد التمحيص والتدبر يظهر الكلام على حقيقته وهو: إنه أراد به الغمز الخفي والاتهام المستور بأن هذا اللون من الكلام لم يكن ذا صلة بالإمام أولاً، وأنه يشوبه التصنع والتكلف والسماجة ثانياً. أما كونه ذا صلة بالإمام فهذا ما تحدثنا عنه في الفقرة (٢) السابقة، ونضيف أنه الله المحرة قائلاً:

ایا أشباه الرجال ولا رجال. لوددت أنبي لم أركم وأعرفكم... و (دارستكم الكتاب، وفاتحتكم المجاج، وعرفتكم ما أنكرتم، وسوغتكم ما مججتم، لو كان الأعمى يلحظ، والناثم يستيظه (۱).

فهو شاهد تاريخي لا يقبل الجدال إنه من قول الإمام علي ﷺ. أما كونه يشوبه التصنع والتكلف والسماجة، فهذا مما يمكن دحضه بشواهد من أقواله ﷺ:

«فليقبل امرؤ كرامة بقبولها، وليحذر قارعة قبل حلولها، ولينظر امرؤ في قصير أيامه، وقليل مقامه، في منزل حتى يستبدن به منزلاً، فليصنع لمتحوله، ومعارف منتقله، فطوبى لذي قلب سليم أطاع من يهديه، وتجنب من يرديه، وأصاب سبيل السلامة ببصر من يبضره، وطاعة هاد أمره، وبادر الهدى قبل أن تغلق أبرابه، وتقطع أسبابه، واستفتح التوبة، وأحاط الحوبة، فقد أقيم على الطريق ركدي نهج السيل».

<sup>(</sup>١) نهج البلاغة ٢/٣٣٢.

وقوله (أرشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور، والقلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والأمر الصادع، إزاحةً للشبهات، واحتجاجاً بالبينات، وتحذيراً بالآيات، وتخويفاً بالمثلات، والناس في فتن انجلم فيها حبل الدين، وتزعزعت سواري اليقين، واختلف النجر، وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمي المصدر، فالهدى خامل والعمى شامل....

ولولا خوف الإطالة لاستشهدنا بالكثير من أقواله (المسجوعة التي جاءت عفو الخاطر ولكنها لم تكن ذا صلة بالسماجة والتصنع والتكلف. بل كانت آية من آيات البيان العربي ولوحات فنية تحكي مسيرة هذا الإنسان في حياته اللاحية.

٤ ـ لقد سلم محمد محيي الدين عبد الحميد بأن الإمام علياً على المتاج علياً على المتاج المتابع على المتابع المتابع الدين الفصاحة المتابع عربن الفصاحة المتابع وكأننا لم نعرف ذلك فتبرع ليدلنا عليه .

إن مثل هذا الأسلوب يبعد صاحبه عن قواعد المنهج العلمي البحت. ويضيع عليه الحقيقة النظيفة لأنه درب شائك لا يسلم صاحبه من العثرات في مطباته الكبيرة، وإلا من منا لا يعرف أن علي بن أبي طالب هو إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، وقد نقل لنا التاريخ والروايات كثيراً من الشواهد والأدلة بأنه «حامي عرين الفصاحة» أما أن محمد محيى الدين يأتي في القرن العشرين فيسلم بذلك تسليم المضطرين فهذا لا يسمن ولا يغني من جوع.

إن الشمس لا يحجبها غربال المشككين والغمازين واللمازين، وإذا حجبتها بعض الغيوم يوماً أو ساعة فإنها تبقى محتفظة بخواصها الفيزيائية والكيميائية، بل إنها بخاصيتها تلك تذبب الغيوم من حولها لتشرق بأشعتها الأرجوانية من جديد فتملأ الحياة حباً خلواً من الثقوب السود.

 ٥ ـ أما أحمد أمين فقد اعتمد رأي المستشرقين في بلاغة وفصاحة الإمام على على الله ولي الكلام.

متى كان المستشرق يعرف ما في الدار أكثر من صاحبها؟ بل متى كان أكثر إخلاصاً في نقل الحقيقة عن أبناء قومنا؟ حتى الذين اعترفوا برجالاتنا وأشاروا إلى معطياتهم بشيء من الإنصاف لكنهم ليسوا بالبدلاء عنا في إقرار هذا الأمر أو ذاك، لأننا عشنا حضارتنا وتواصلنا معها جيلاً بعد جيل. ولكننا نبقى نردد المغنية الحي لا تطرب، ولسان حالنا يقول:

وأبصرت الحقيقة ما عميت فلو غوّرت في تاريخ شعري وأقصرت الطريق وقد عييت ولكنى هجرت تراث قومي فما نافحت عنها أو نهبت فداهمني الغزاة بعقر داري لبعضي، بل تأكلني الشتيت لأنى مذ خلقت خلقت خصماً فحاطت بي من الدنيا طسوت فلم ﴿أشطف اليابي عبر طستي وعن أفكار قومي قد غويت وصرت أذب عن أفكار غيري غريب، عن جني قومي سهوت نصوصياً غدوت لكل قول بعَدُّ الرمل لكني نسيت كأنى ما ورثت لهم تراثاً

ولكن عن تراثهمُ رويت وصرت أغض طرفي عن تراثي ولكن لو أتى منهم يقيت وثمري لا يقيت بأرض قومي وحلو طعام قومي «زقنبوت» ومر طعامهم حلو مذاقأ وإن أدعى لـذب عـن تـراثـي أراوغ، إذ كأنبى ما دُعيت ولكن لو دعاني الغرب يوماً أقول له: لإرثك قد فُديت ولى مأوًى يقيني أو مبيت فذاك لي الرواء إذا ظميت وذاك لى المدواء إذا اعتراني ذبول المحل قلت: به شُفيت لظّى لى، بل وفيه قد شويت وأما إرثى الموروث أضحي وقد نعتوه بالسلفي ظلمأ وعنه بعيدة تلك النعوت تقولب وهو في هذا مميت وقالوا: إنه إرث مقيت تناهوا فيه، بل أضحى يميت وقالوا: لم يواكب عصر قوم وما يدرون أنى تهت إن لم أعب من ريِّه، بل ما حييت بأن يدروا وهم عنه سكوت(١) وهم يىدرون لىكن أي بىلوًى

ذلك هو حالنا في تقييم تراثنا، وإلا هل يحتاج رجل مثل الإمام علي الله على يحتاج رجل مثل الإمام علي الله في الحضارة الإمام علي الله الله المربية؟ ودوره الكبير في بلورة الجوانب الفنية للغننا العربية؟ وهو القائل:

«هل منا مناص أو خلاص، أو معاذ أو ملاذ، أو مزار، أو مجار». والقائل:

الأبيات من قصيدة طويلة للمؤلف تعداد أبياتها ١٢١ بيتاً من ديوانه المخطوط ج٣.

«أين من جد واجتهد، وجمع واحتشد، وبنى فشيد، وفرش فمهّد، وزخرف فنجّد».

ألا يأخذك الجرس الموسيقي بسحره الخلاب إلى عوالم حالمة مع تلك الثنائيات

«مناص وخلاص، معاذ وملاذ، مزار ومحار؛ هي إلى الشعر أقرب منها إلى النثر، بل هي مترعة بالدفق الموسيقي المنساب بعذوبة وفراهة وعفوية.

### ٨ ـ دقة الوصف:

يقول محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمة تحقيق "نهج البلاغة»:

(إن فيه من دقة الوصف واستفراغ صفات الموصوف، وإحكام الفكرة، وبلوغ النهاية في التدقيق كما تراه في وصف الخفاش والطاووس والنملة والجرادة، وكل ذلك لم يلتفت إليه علماء الصدر الأول ولا أدباؤه ولا شعراؤه، وإنما عرفه العرب بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدية والحكمية..».

إن الإنسان في كل عصر ومكان يصدر أحكامه على النابغين من ما هو فيه: فإذا رأى خارقية ما في إنسانٍ ما أنكر عليه لأنها تمخض استثنائي لم تستطع مداركه القاصرة من الوصول إلى استيعابها فيبدأ بإصدار أحكامه، التي يحسبها أدلة إنكارية قاطعة بلا عمق في التأمل في شمولية الرؤية وأحياناً إنصاف في الحكم. والنابغ دائماً يكون هدفاً لذوي العقول القاصرة والنظرة الضيقة والتفكير المتحجر والأذهان المنغلقة على نفسها. ولأن النابغ سابق زمانه، فمن الصعب أن يجد من يفهمه ويستوعب قدراته ومعطياته الفكرية، اللهم إلا القلة القليلة من الذين يقتربون منه في الخاصية تلك. وقلة هم أولئك النابغون في المجتمعات البشرية، إذ لا تزيد نسبتهم عن ١٪ إن لم تقل.

وهكذا كان الإمام علي بن أبي طالبﷺ «استثناءً» في عصره وبقي استثناءً في كل العصور إلى يومنا هذا.

فليس غريباً \_ إذن \_ أن نقراً لهذا الكاتب أو ذاك رأياً في نابغ وآخر ينكر عليه نبوغه لا لشيء إلا لكونه قاصراً في نظرته أو حاسداً إياه، أو مفترقاً عنه في المذهب أو العرق أو التفكير، أو هي مجتمعة كلها فيه. فتأتي أحكامه مبتسرة تفوح منها رائحة لم يألفها إلا هو.

لذلك نرى، وإن كثرة الشاكين في (النهج) لم يسلكوا طريقاً فنياً في التحليل، ولم يركنوا إلى مقياس علمي خلا العاطفة والأغراض، ولم يكونوا صيارفة كلام أحرار متجردين عن كل شيء (۱۰ وإلا متى كانت دقة التحليل وإجادة الوصف وقفاً على قوم دون قوم؟ أو ليس الشعر العربي مملوء بدقة الوصف واستكماله؟ ثم أليس لقرشي شهد تنزيل القرآن، وصحب أفصح العرب منذ نعومة أظفاره، وكتب له الوحي، وسمع ما يفجره الله تعالى على لسانه من ينابيع الحكمة، أليس لهذا القرشي ميزة عن سائر الناس (۱۲).

ثم أما كان يجب على أولئك الكتاب الذين استكثروا على

<sup>(</sup>١) تحت راية الحق.

<sup>(</sup>٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده.

الإمام علي ﷺ دقة الوصف ـ مثلما استكثروا عليه أشياء كثيرة غيرها بلا وجه حق ـ أن يدرسوا شخصيته بكل جوانبها، وعند ذاك تكون أحكامهم متفقة وعظمة واستثنائية هذه الشخصية الفذة.

ثم إن علي بن أبي طالب كان يستعين بذاكرة قوية، وقدرة هائلة على اختزان صور الناس والطبيعة، وأخبار البشر، وأوصاف الأشياء. وكانت دقة ملاحظته تجعله محيطاً إحاطة مدهشة بسمات الشيء الباطنة قبل الظاهرة.

وبفعل ذلك كان وصفه يتغلغل إلى عمق الظاهرة، أو الصفة، كما يتسع ليربط الظاهرة بالأخرى، والصفة بالأخرى ليقدم رؤية شاملة، تضع الجزئي في موضعه الحقيقي، ضمن العام، وتضع البعض ضمن الكل، وبما أن أبلغ وصف هو ذلك الذي ينقل الصور البليغة للأشياء ويعكسها بأجمل تعبير، وأقوى إيماء، وأدق وصف، وأجلى تعبير، فإن سحر البيان الذي أوتيه فريدة من النصوص الوصفية التي تفخر بها العربية (۱۱). ولكن هذا الانعكاس الوصفي الفريد كان له رد فعل معاكس لا يساويه في المقدار البحثي العلمي المنهجي، بل ساواه في النكوص عن جادة الحق والتأمل المنصف، فكان ما جاء به محمد محيي الدين عبد الحميد وأحمد أمين في فجر الإسلام والدكتور شفيع السيد ومحمد شاكر وغيرهم ممن أنكروا على الإمام علي عليه

 <sup>(</sup>۱) على بن أبى طالب سلطة الحق \_ عزيز السيد جاسم.

هذا التفرد في التفكير والنظرة ودقة الوصف هو من رد الفعل ذاك.

إن ما كان يتمتع به الإمام علي هن خارقية فائقة التصور جعلت منه "مبدعاً في ميادين الأساليب المتعددة، فهو يقدم النص الوصفي بالقدرة الرائعة، التي يقدم بها النص السياسي، أو الفقهي، والأخلاقي، ورغم أن وصف الأشياء يتصل اتصالاً دقيقاً بعملية انعكاس الأشياء نفسها في الذهن، فإن طبيعة النفس المرهفة والعقل النير تجعل من عملية الانعكاس إعادة خلق صوري للموصوف. فيصبح الموصوف (في الصورة البلاغية) يشبه الحقيقة الملموسة للشيء الموصوف ويتجاوزه بالجمالية الممنوحة إليه من داخل كلمات النص.

إن علي بن أبي طالب كان يستنطق الصفات واهباً إياها المقدرة على أن تستعرض نفسها بشفافية أكبره (١٠). تماماً كما يفعل المصور الفوتوغرافي عندما يريد التقاط صوره فهو يختار الجرانب الفنية للأشياء فتأتي صوره أكثر تأثيراً من الأصل المصور. وهنا يكون الاعتماد على قدرة هذا المصور الإبداعية في تحريك كاميرته واقتناص اللحظة والشكل وزاوية النظر فإذا كان مبدعاً حقاً جاءت صوره مترعة بدفق لوني ناطق بكل آيات الإبداع.

وعلي بن أبي طالبﷺ اتميز بقوة ملاحظة نادرة ثم بذاكرة واعبة تخزن وتتسع، فتيسرت له من ذلك جميعاً عناصر قوية تغذي

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

فكره وتقوي خياله فتسهل عليه محاكمة الأشياء والمقارنة بين عناصرها لإثبات أرجحها وأفضلها للبقاء والتعميم،(١).

فليس مستغرباً - إذن - على مثل على بن أبي طالب ﴿ الله لذى قلة قليلة - أن يصف لنا ذلك الوصف الرائع لبعض الحيوان مما جعل أصحاب «الرأي . . . ، يقفون مذهولين أزاء هذه الصورة، بل اللوحات الزيتية الرائعة التقنية فلم يجدوا لأنفسهم مفراً منها إلا الإنكار من كونها من بنات أفكار علي ﴿ لأن عصر يفتقر إلى تلك القدرة الإبداعية . . ! وإن الجزيرة العربية - والمدينة - لم تدجن الطاووس - مثلاً - الذي وصفه الإمام علي ﴿ فَا الله على الرغم من أن ابن أبي الحديد قد أوضح لهم أن الإمام عليا ﴾ لم يشاهد الطواوس في المدينة بل بالكوفة وكانت يومئذ تجي لها ثمرات كل شيء، وتأتي إليه هدايا الملوك من الآفاق، ورؤية المسافدة مع الذكر والأنشى غير مستعدة (٢).

أقول على الرغم من ذلك ظلوا يشككون في نسبة هذا الرصف الرائع للإمام علي ﷺ متذرعين بحجج لا تقوم على دليل علمي ومنطقي.

وهذا كله من الجهل بمقام أمير المؤمنين وفضله ومبلغه من العلم<sup>(٣)</sup>. ولكي لا نترك الكلام عارياً من شواهد من وصفه (نذكر

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

<sup>(</sup>٢) شرح النهج.

<sup>(</sup>٣) مدارك نهج البلاغة للشيخ هادي آل كاشف الغطاء.

نتفاً من ذلك الوصف على أننا سنعود إليه في فقرة لاحقة إن شاء الله.

#### قال ﷺ يصف نملة:

"انظروا إلى النملة في صغر جنتها ولطافة هيأتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدق الفكر، وكيف دبت على أرضها وصُبّت على رزقها؛ تنقل الحبة إلى جحرها وتعدها في مستقرها، وتجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا البابس والحجر الجامس. ولو فكرت في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً ولقيت من وصفها تعبا، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة، لدقيق تفصيل كل شيء، وغامض اختلاف كل حيه (١٠).

## وقال ﷺ يصف الخفاش:

«ومن لطائف صنعته، وعجائب حكمته، ما أرانا من غوامض الحكمة، في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل حي، وكيف عشيت لكل شيء، ويبسطها الظلام القابض لكل حي، وكيف عشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيثة نوراً تهتدي به في مذاميها، وتصل بعلانية برهان الشمس إلى معارفها، وردعها

<sup>(</sup>١) مدارك نهج البلاغة للشيخ هادى آل كاشف الغطاء.

بتلألؤ ضيائها عن المضي في سبحات إشراقها، وأكنّها في مكامنها، عن الذهاب في بلج ائتلاقها، فهي مسدلة الجفون في النهار عن أحداقها، جاعلة الليل سراجاً تستدل به في التماس أرزاقها، فلا يرد أبصارها أسداف ظلمته، ولا تمتنع من المضى فيه لغسق دجنته، فإذا ألقت الشمس قناعها وبدت أوضاع نهارها، ودخل من إشراق نورها على الضباب في وجارها، أطبقت الأجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبت من فيء ظلم لياليها، فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً، والنهار سكناً وقراراً، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران، كأنها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب، إلا أنك ترى مواضع للعروق بينة أعلاماً، لها جناحان لما يرقا فينشقا، ولم يغلظا فيثقلا، وولدها لاصق بها لاجيء إليها، يقع إذا وقعت ويرتفع إذا ارتفعت، لا يفارقها حتى تشتد أركانه، ويحمله للنهوض جناحه، ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه، فسبحان الباري لكل شيء على غير مثال خلا من غيره''.

### وقال ﷺ يصف الجرادة:

اوإن شئت قلت في الجرادة، إذ خلق الله لها عينين حمراوين، وأسرج لها حلقتين قمراوين، وجعل لها السمع الخفي، وفتح لها الفم السوي، وجعل الحس القوي، ونابين بهما تقرض ومنجلين بهما تقبض، يرهبها الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبها، ولو أجلبوا بجمعهم، حتى ترد الحرث في

 <sup>(</sup>١) خطب أمير المؤمنين/ لأبي الخير صالح بن حماد سلمة الرازي.

نزواتها، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون إصبعاً مستدقة<sup>(۱)</sup>.

### وقال ﷺ يصف الطاووس:

"ويمشي مشي المرح المختال، ويتصفح ذنبه، وجناحيه فيقهة ضاحكاً لجمال سرباله وأصابيغ وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولاً، وقد نجمت من طنبوز ساقه صيصية خفيفة، وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة، ومخرج عنقه كالإبريق، ومغرزها إلى حيث بطنه، كصبغ الوسمة البانية، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال، (7).

#### تم

الله عند الله المداهدة المداه

هذا فضلاً عن وصفه الأرض بأنهارها وجبالها وهضابها ومنبطحاتها، والسماء ونجومها وما فيها من عجائب الخلق، ودقائق الصنعة (<sup>43)</sup>.

١) خطب أمير المؤمنين/ المروية عن الصادقﷺ المتوفى سنة ١٤٨ هـ.

 <sup>(</sup>٢) خطب أمير المؤمنين/ لأبي محمد أو أبي بشر مسعدة بن صدقة العبدي.
 (٣) خطب أمير المؤمنين/ برواية أبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي.

 <sup>(</sup>٤) رسائل أمير المؤمنين/ لإبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي المتوفى سنة ٢٨٣ هـ.

إن دقة الوصف تلك من لدن الإمام علي الله تُعد مفخرة لحضارتنا العربية والإسلامية أن يبرز فيها مثل علي بن أبي طالب وهو يحمل في تلافيف دماغه خوارق عقلية وفكرية عجية يظل التاريخ، مهما امتد واتسع، يذكرها بفخر واعتزاز.

## ٩ \_ الألفاظ الاصطلاحية:

ومما تعكزوا عليه في نفي نسبة ما في نهج البلاغة إلى الإمام علي ﷺ، استعمال ألفاظ اصطلاحية، التي يزعمون أنها عرفت في علوم الحكمة بعد تعريب كتب اليونان والفرس الأدبية والحكمية.

ولا أحسبني بحاجة إلى الإفاضة في هذا الموضوع لأنني قد تحدثت عنه في كثير من المواضيع التي مرت وأبرزها قول النبي الكريم :

«أنا مدينة العلم وعلي بابها» لذلك وجدت من المفيد الاستثناس برأي العلامة الشيخ محمد جواد مغنية، إذ يقول<sup>(١)</sup>:

«إن في القرآن قضايا علمية وفلسفية وتشريعية لم تعرفها العرب في عهد النبي ولا قبله، وقد استدل علماء الكلام، وفلاسفة المسلمين بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في كثير من الموضوعات الفلسفية التي تكلموا عنها، فهل هذه الآيات منحولة مدسوسة؟ وهل من الضروري إذا اتفق قول مع قول أن يكون

<sup>(</sup>١) فضائل الإمام على \_ محمد جواد مغنية.

أحدهما مصدراً للآخر، وقد أثبت علماء الغرب والشرق من غير المسلمين بأن القرآن والسنة هما المصدر الأول للحضارة الإسلامية وعلومها وفلسفتها، وكلنا يعلم أن علياً هو صنو الرسول وتلميذه ونجيّه، وشريك القرآن، بل هو القرآن الناطق، وما بين الدفين القرآن الصامت.

والغريب أن هؤلاء المنكرون لا يستكثرون على ابن خلدون الكلام في علم الاجتماع قبل أن يعرفه روسو<sup>(۱)</sup> ومونتسكيو<sup>(۱)</sup> وأن يقولوا عن علومه ومعارفه: (إنها تدفق فجائي وحدس باطني، واختمار لا شعوري)، ويستكثرون على باب مدينة العلم أن يصف الطاووس، وأن يقول: الله أين الأين فلا يقال له أين؟ وكيف الكيف فلا يُقال له كيف؟ ولأن يصف الباري تعالى بصفات تليق بجلاله، وهو أعرف الناس به بعد الرسول.

هذا إلى أن الإمام تكلم عن أشياء لا يعرفها اليونان ولا غير اليونان».

تلك هي كلمة الحق والموضوعية ولكن المشككين يصمون آذانهم كي لا يسمعوها ويعصبون عيونهم كي لا يروا الحقيقة شمساً ساطعة.

 <sup>(</sup>١) جان جاك روسو: ولد في جنيف سنة ١٧٦٢م، من كبار الكتاب في علم الاجتماع الفرنسيين، ومن مشاهير الدعاة إلى الثورة الاجتماعية. توفي سنة ١٨٧٨م.

 <sup>(</sup>۲) مونتسكيو: مؤلف فرنسي له: «أصول النواميس والشرائع» ولد سنة ۱۲۷۹م وتوفي سنة ۱۷۵٥م.

#### ١٠ ـ التقسيمات العديية:

ومن تشكيكاتهم في نسبة ما في "نهج البلاغة" إلى الإمام علي هي ورود تقسيمات عددية فيه. يقول محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته على النهج:

«وكذلك استعمال الطريقة العددية في شرح المسائل في تقسيم الفضائل أو الرذائل مثل قوله: «الاستغفار على ستة معان» «الإيمان على أربع دعائم، الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب».

وبمثل ذلك قال أحمد أمين وغيره.

لا أدري أين كان الكتاب من أقوال العرب قبل الإسلام وأقوال الرسول محمد ﴿ وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم؟

يبدو أنهم لم يطلعوا على ذلك، وهذا نقص في الباحث عن الحقيقة فلا يحق له إعطاء الرأي \_ إذن \_.. أو أنهم يعرفون ذلك ولكنهم يريدون طمس الحقائق من خلال نفي وجودها، وهذا ليس من حقهم لأنه تراث يخص حضارة العرب منذ أن دب عربي على الأرض. وقبل أن تكون المذاهب والتعصب المذهبي، فإن غيرهم بغربال فمزقوا هذا الغربال فظهرت الشمس "على الله..» وهو ما نحن بصدده، إذ ستوقظهم من نومتهم بشمس الحقيقة وتجعلهم نحن بصدده، إذ ستوقظهم من نومتهم بشمس الحقيقة وتجعلهم المنس ومتعة الضياء. ولكي يكون كلامنا لا ثاني له سنذكر ما الشمس ومتعة الضياء. ولكي يكون كلامنا لا ثاني له سنذكر ما جاء على لسان من تربى الإمام علي هي حجره وأخذ عنه

علومه في مدرسة الإسلام الأولى وهو الرسول العظيم محمد، هي، ولسان الصحابة والخلفاء الراشدين. وهو بالتأكيد قبل صدور «نهج البلاغة» بقرون.

فإذا قال الإمام على لقائل بحضرته: أستغفر الله: ثكلتك أمك! أتدري ما الاستغفار؟ إن للاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معاني: أولها الندم على ما مضى، والثاني العزم على ترك العودة إليه أبداً، والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل أملس ليس عليك تبعة، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضبعتها فتؤدي حقها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله.

أقول. . فإذا قال الإمام ذلك فإن رسول الله 🎎 قال قبله :

استة أشياء حسنة ولكنها من ستة أحسن، العدل حسن وهو من الفقراء أحسن، والصبر حسن وهو من الفقراء أحسن، والروع حسن وهو من العلماء أحسن، والسخاء حسن وهو من الأغنياء أحسن، والتوبة حسنة وهي من الشباب أحسن، والحياء حسن وهو من النساء أحسن، وأمير لا عدل له كغمام لا غيث له، وفقير لا صبر له كمصباح لا ضوء له، وعالم لا ورع له كشجرة لا ثمر لها، وغني لا سخاء له كمكان لا نبت له، وشاب لا توبة له كنهر لا ماء فيه، وامرأة لا حياء لها كطعام لا

ملح له (1) وقال (1) « معشر المسلمين إياكم والزنى فإن فيه ستة خصال، ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة، فأما التي في الدنيا فإنه يذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما التي في الآخرة فإنه يوجب سخط الرب وسوء الحساب والخلود في الناره (1).

وقال (الحدث الخلاء ابن آدم ثلاثة: واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره، والثالث إلى محشره، فالذي يتبعه إلى قبض روحه فماله، والذي يتبعه إلى قبره فأهله، والذي يتبعه إلى محشره فعمله (الله وعن عبد الرحمن بن عوف قال: إنه دخل على أبي بكر الصديق في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مهتماً فقال له عبد الرحمن: أصبحت والحمد لله بارتاً، فقال أبو بكر أتراه ؟

قال: نعم.

قال: إني وليت أمركم خيركم في نفسي فكلكم ورم أنفه من ذلك يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير، ونضائد الديباج، وتألموا الاضطجاع على الصوف الآذري كما يؤلم أحدكم أن ينام على حسك، والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا، وأنتم أول ضال بالناس غداً، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالاً، يا هادي الطريق إنما هو الفجر أو البحر.

<sup>(</sup>١) الإرشاد للديلمي.

<sup>(</sup>٢) الخصال للصدوق.

<sup>(</sup>٣) الترغيب والترهيب.

#### فقلت له:

خفض عليك \_ رجمك الله \_ فإن هذا يهيضك في أمرك، إنما الناس في أمرك بين رجلين إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك، وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك أردت إلا خيراً، ولم تزل صالحاً مصلحاً، وأنك لا تأس على شيء من الذنيا.

# قال أبو بكر:

الجل إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن وثلاث تركتهن وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الشي عنهن. فأما الثلاث التي وددت أني تركتهن، فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا فد غلقوه على الحرب ووددت أني حرقت الفجاءة السلمي وأني قتلته سريحاً، أو خليته نجيحاً، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين ـ يريد عمر وأبا عبيدة ـ فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً.

أما اللاتي تركتهن، فوددت أني يوم أتيت بالأشعث بن قيس أسيراً كنت ضربت عنقه، فإنه تمثل لي أنه لا يرى شراً إلا أعان عليه، ووددت أني حين سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت بذي القصة، فإن ظفر المسلمون ظفروا وإن هزموا كنت بصدد لقاء أو مدد ووددت أني إذ وجهت خالداً إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق، فكنت قد بسطت يدي كليهما في سبيل الله، ومدَّ يديه . ووددت أني سألت رسول الله الله المسال الله العراق، فكنت قد بسطت يدي

لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد، ووددت أني كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة فإن في نفسي منهما شيء<sup>ي(١)</sup>.

وقال عمر بن الخطاب في حديث له:

«النساء ثلاث فهينة لينة، عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها، وأخرى وعاء للولد، وأخرى على قمل يضعه الله في عنق من يشاء ويكفه عمن يشاء.

والرجال ثلاثة، رجل ذو رأي وعقل، ورجل إذا حزبه أمر أتى ذا رأي فاستشاره، ورجل حائر بائر، لا يأتمر رشداً ولا تبع مرشداً، (\*).

تلك بعض الأحاديث النبوية والأقوال التي وردت عن أبي يكر وهي جزء يسير مما لو أردنا الإفاضة به، وهدفتا الإشارة فقط إلى أن هذا اللون من الكلام متجذر في عمق الحضارة العربية ولكن إزميل محمد محيي الدين وأحمد أمين وشفيع السيد ومحمود محمد شاكر وغيرهم، إما أن يكون قصيراً فلا (ينوش العمق) أو من معدن رخو فلا يستطيع التوغل في البحث أو مثلما لا يصلح لعمل بحث علمي منهجي كهذا، أقول هذا مضطراً لأن المطابع في لبنان ـ خاصة ـ تضخ يومياً متات العناوين من الكتب، وللكتب التراثية حصة كبيرة منها، ولكن مع ذلك نرى

أخرجه أبو عبيدة في (الأموال) والطبري في تاريخه، وابن قتيبة في
 (الإمامة والسياسة) والمسعودي في (مروج الذهب) وابن عبد ربه في
 (العقد الفريد).

<sup>(</sup>٢) غريب الحديث لابن قتيبة.

أمثال هؤلاء الكتاب لم يشيروا إلى ما أشرنا، يبدو أنهم لا يريدون أن يطلعوا على تلك المصادر لكي يقنعوا أنفسهم بأن ما قالوه من المسلّمات. .

أما نحن فقد أدينا مهمتنا فليؤمن من يريد أن يؤمن وليكفر من يريد أن يكفر. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

### ١١ - التنبؤات والتوقعات:

ومن تشكيكاتهم في انهج البلاغة، كونه احتوى بعض الخطب والأحاديث التي تنبأ وتوقع الإمام فيها وقوع أحداث مستقبلية فقالوا إنها منحولة . .! ومن مدخول الكلام عليه.

قال محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمته على نهج البلاغة:

اإن فيه عبارات ما يشم منه ربح ادعاء صاحبه على الغيب، وهذا أمر يجل عن مثله مقام علي ومن كان على شاكلة علي ممن حضر عهد الرسول ورأى نور النبوة».

أما عباس محمود العقاد هو الآخر يقول:

"إن التنبؤات التي جاءت في "نهج البلاغة" عن الحجاج وفتنة الزنج وغارات التتار وما إليها من مدخول الكلام عليه، مما أضاف النساخ إلى الكتاب بعد وقوع تلك الحوادث بزمن قصير أو طويل، (١٠).

<sup>(</sup>١) عبقرية الإمام علي.

لقد تحدثنا في الفقرة التاسعة (دقة الوصف) عن الخارقية التي كان الإمام يتمتع بها في شيء من الإيجاز أو بمرور كمرور الكرام، وفي فقرتنا هذه نرى أن نتوقف عندها بشيء من التفصيل غير المتوسع فيه.

إن الخارقية كعلم لم يثبت أقدامه بعد في وطننا العربي ولكنه في غير وطننا العربي دخل المختبرات وصاروا يجرون عليه التحليلات المختبرية في جوانبه كلها؛ كما في أمريكا والاتحاد السوفياتي (سابقاً) ولقد اهتمت تلكما الدولتان بهذا العلم وسمي (الباراسايكولوجي) أي ما وراء النفس، أو الإدراك الحسي العالى، أو الخارقية كما ثبتنا في فقرتنا التاسعة وفقرتنا هذه.

في الواقع إن الخارقية موجودة في هذا الشعب أو ذاك وفي المناس مختلفة من العالم وفي عصور مختلفة هي الأخرى. ولكم قرآنا أو سمعنا أن شخصاً ما ظهر في هذا المكان أو ذاك وصار يتحدث بأشياء مستقبلية ويطبب المرضى ويؤثر في الأشياء سلباً وإرجاباً بنظرة من عينيه، أو يستكنه الأشياء المخفية فيُدل عليها ويعطي أوصافها وكمياتها أو مقاديرها. وإذا ما أردنا الخوض في هذا الموضوع فالأمثلة من الكثرة بحيث يمكن إفراد كتاب ضخم لها ولكننا سنضرب أمثلة قليلة ونمر بها سريعاً لندخل بعد ذلك في موضوعنا (التنبؤات والتوقعات عند الإمام علي ﷺ).

في أحد الأيام دخل شاب ألماني إلى مدينة الألعاب عندهم (لونا بارك) وبعفرية محضة نظر إلى ساعته اليدوية وركز في نظره على أميالها فالتوت الأميال فتعجب من الأمر فرفع رأسه شاخصاً بيصره إلى العربات الكهربائية السلكية وهي تجري كأنها تسير على سكة قطار على الأرض وصار يديم النظر بتركيز شديد فتوقفت العربات عن العمل وأصاب الناس الذعر فهرع مسؤولو مدينة الألعاب وفيما هم في حيرة من أمرهم، أخبرهم الشاب الألماني أن توقفها كان بتأثير من عبنيه، وهنا سرعان ما استدعي ذلك الشاب إلى مقر لجنة من العلماء ليستفيدوا من قدرته الخارقية تلك.

وثمة صبي اسمه (عليوف) كان طالباً في مدرسة متوسطة في مدينة (كبيف) في الاتحاد السوفياتي (السابق). كان هذا الصبي لا يرتاح لدرس الأدب، وفي أحد الأيام وهو على رحلة الدرس ركز نظره على المدرس المختص بدرس الأدب، حتى استطاع دون أن يدري بادئ الأمر أن يربك المدرس فصار يتلعثم بكلامه أو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً دون إرادته. ولما شعر المدرس بالإحراج كلف أحد الطلاب بقراءة الدرس فصار (عليوف) يركز نظره على زميله فأربكه هو الآخر فعرف (عليوف) أن ذلك كان بتأثير عينيه، أخبر أهله بالأمر فصاروا يختبرونه إذ أخفوا عدة روبلات وسألوه عما أخفوا فأخبرهم ودلهم على مكانها.

وثمة عائلة تسكن قضاء الكوفة التابعة حالياً لمحافظة النجف تعمل في صيد السمك يستطيع أفراد هذه العائلة رؤية ما خلف الثياب بقدرة خارقية من أبصارهم.

وثمة عائلة أخرى في قضاء الهندية (طويريج) التابع لمحافظة كربلاء (حالياً) يستطيع أي واحد منها إيقاف السفن عن الحركة بمجرد النظر إليها بتركيز خاص. وثمة فتاة وأبوها في لبنان يستطيع الأب تسريب حرارة المحموم من جسمه بمجرد مسك يد المحموم فتتسرب الحرارة من جسمه إلى يد الرجل ومنها تنتشر في الفضاء. فيما تستطيع الفتاة أن تحرك الأشياء دون أن تلمسها، كما تستطيع قراءة أي كتاب بالمقلوب.

وفي الستينيات من القرن العشرين ظهر صبي عراقي اسمه عادل شعلان يستطيع حل أي مسألة حسابية أو رياضية معقدة دون أن يستخدم القلم أو أي جهاز إلكتروني. وكان في الصف الخامس الابتدائي.

ومثله فتاة هندية.

وفي أوائل السبعينيات ظهر صبي آخر في العراق اسمه ظافر إذ أظهره السيد كامل الدباغ في برنامجه التلفزيوني (العلم للجميع) كان يضرب أي رقم في أي رقم آخر مهما طال ويعطي النتائج بلا خطأ. حتى وصل حد الأرقام إلى ما لا توجد في أرقامنا فسماه مقدم البرنامج: (ظافريون).

وثمة طفلة في كوريا لأبوين مدرسين في كلية الهندسة تستطيع حل أعقد المسائل الهندسية التي عجز الطلاب من حلها وقد عرضت في تلفزيون العراق.

وفي العراق أشخاص كثيرون يتمتعون بكهرومغناطيسية في أجسامهم يستطيعون بواسطتها شفاء كثير من الأمراض.

كما أن بعض الأشخاص منهم لهم القدرة على التنبؤ بنتائج

الانتخابات العامة، ويتوقعون أحداثاً مستقبلية أغلبها، إن لم يكن كلها، كان صادقاً وواقعاً.

وأخيراً وليس آخراً هناك الطبيب الفرنسي الشهير صاحب التنبوات المعروفة باسمه "تنبؤات نوستر آداموس" التي طبعتها الدار الوطنية لوزارة الثقافة والإعلام في العراق. تلك التنبوات التي اهتم بها العالم أيما اهتمام وصُوِّرت بالفيديو وعرضت على شاشات التلفزيون؛ وهي عبارة عن رباعيات فيها توقعات أحداث خلال عشرة قرون، قال شراحها إنها تحققت وما زالت تنتظر التحقيق.

تلك كانت إلمامة سريعة عن ذوي القدرات الخارقية ومن أراد التوسع يمكنه أن يجد ذلك من خلال معاينات شخصية في الحياة أو خلال تناثرها هنا وهناك في بطون الكتب التراثية والحديثة.

والآن نتساءل، أيهما أقرب إلى التصديق والقبول في امتلاك قدرة خارقية، الشاب الألماني أو عليوف أو عادل شعلان أو ظافر أو الطفلة الكورية أو الرجل اللبناني وابنته أو العائلة الكوفية (السماكة) أو العائلة الطويرجاوية ـ نسبة إلى قضاء الهندية ـ أو نوستر آداموس أم الإمام علي بن أبي طالب؟.

نحن لا نعرف عن أولئك الذين ذكرناهم الشيء الكثير في النسب والعراقة، ولكننا نعرف عن علي بن أبي طالب الله أنه ربيب حجر النبوة، إذ تقول الروايات إنه على عندما ولد جامه الرسول محمد في فقتح الغشاوة فأخرج منها غلاماً حسناً فشاله

بيده، وسماه علياً، وبصق في فيه وأصلح أمره ثم إنه ألقمه لسانه، فما زال يمصه حتى نام. وقد ذكرنا ذلك من قبل. وهكذا كان في اليوم الثانى.

إذن فعلي بن أبي طالب هم ما كان شخصاً عادياً مقطوع المجذور عن العراقة العربية والنبع الإسلامي الصافي؛ فهو إمام البلغاء وسيد الفصحاء وهو باب مدينة العلم، وهو الذي «سن الفصاحة لقريش»، وهو الذي تعلم من ذي علم، وهو الذي ورث علمه من رسول الشي في فهل كثير عليه أن يتنبأ ويتوقع؟

إن العالم يقيم الدنيا ويقعدها إذا ما برز شخص في جانب ما فيه شيء من الخارقية فتبدأ الصحافة والوسائل المسموعة والمرثية تتسابق في نشر الخبر وتنظيم اللقاءات معه، والشواهد كثيرة عبر تاريخنا المعاصر.

فما بالنا نحن العرب \_ وقد برز فينا شخص قلما برز مثله في التاريخ \_ وأعني به الإمام علي بن أبي طالبﷺ لا نفخر به أمام العالم باعتباره يشكل الجزء الأكثر إضاءة في حضارتنا العربية والإسلامية؟

وللأسف أقول إننا بدلاً من أن نزداد فخراً بشخصية علي بن أبي طالب إلى ابعض مثقفينا، لا للتقليل من شأنه الله فحسب بل توجيه السهام من خلال التشكيك بمعطياته الذهنية والإبداعية ناسين، أو متناسين أن التشكيك بتلك المعطيات إنما هو تشكيك بحضارتنا العربية والإسلامية لأن علي بن أبي طالب إلى يقف في رأس تلك الحضارة كأبرز معلم من معالمها التاريخية المضيئة. لقد الخص على بن أبي طالب بالمعرفة الإلهامية، مثلما خص بالتوقد العقلي، وقد تلقى على الله تلك المعرفة من النبي العظيم، الذي كان يلقمه العلم، ويشهده التجربة، فكانت روحه ترى ما لا تراه العين، وكان ذهنه الذي يتفتق عن المعارف والأفكار، يومض بالحدس، والتوقعات التي تدخل ضمن رؤى أكدتها الأحداث والوقائم، (1).

إن المغيبات في نهج البلاغة إنما هي «نتيجة تعلم الإمام من ذي علم، فإن الله تعالى أطلع نبيد على أمور غيبية فعلمها النبي لوصيه الله ودعا له بأن يعيها صدره وتضطم عليها جوانحه، فأخير أمير المؤمنين الناس يبعض ذلك حسب متتضيات الأحوال، وأفضى إليهم يبعض ما سمع وما كذّب ولا كُذّب، (77).

قال الإمام موسى الكاظم على مجيباً يحيى بن عبد الله بن الحسن لما قال له:

«جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب؟»

### فقال ﷺ :

ـ سبحان الله ضع يدك على رأسي فوالله ما بقيت شعرة فيه ولا في جسدي إلا قامت.

ثم قال:

<sup>(</sup>١) مصادر نهج البلاغة وأسانيده ـ عبد الزهراء الخطيب.

<sup>(</sup>٢) أنظر أمالي الشيخ المفيد.

 <sup>(</sup>٣) أنظر عبد الفتاح عبد المقصود: الإمام علي بن أبي طالب. وعزيز السيد جاسم: على بن أبى طالب سلطة الحق.

وقال الشيخ ميثم البحراني في شرحه "نهج البلاغة" في كيفية علم أمير المؤمنين على المغيبات:

الا يقال لا نسلم أن ذلك علم ألهمه الله إياه، وأفاضه عليه، بل الرسول أخبره بوقائع جزئية من ذلك، وحيئذ لا يقى بينه وبين غيره فرق في هذا المعنى، فإن الواحد منا لو أخبره الرسول بشيء من ذلك لكان له أن يحكي ما قاله الرسول وإن وقع الخبر به على مثل قوله، ويدل على ذلك قوله بعد وصف الاتراك وقد قال له بعض أصحابه في هذا المقام؟

ـ لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب. فضحك وقال للرجل وكان كلبياً:

ـ يا أخا كلب ليس هذا بعلم غيب، إنما هو تعلم من ذي علم. وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندُهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُتَزِّكُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَزُ مَا فِي ٱلْأَرْعَارِ ﴾(١).

من ذكر وأنشى وقبيح وجميل، وشقي وسعيد، ومن يكون للنار حطباً، أو في الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغبب الذي لا يعلمه إلا الله وما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيه فله فعلمنيه، ودعا بأن يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي».

وهذا تصريح بأنه تعلم من رسول الله الله الله نقول: إنا لم ندع أنه الله يعلم الغيب، بل المدعى أنه كان لنفسه القدسية

<sup>(</sup>١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

استعداد أن تنتقش بالأمور الغيبية عن إفاضة جود الله تعالى، وفرق بين الغيب الذي لا يعلمه إلا الله وبين ما ادعيناه، فإن المراد بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفاداً عن سبب يفيده وذلك إنما يصدق في حق الله تعالى إذ كل علم لذي علم مداه فهو مستفاد من جوده إما بواسطة أو بغير واسطة فلا يكون علم غيب وإن كان إطلاعاً على أمر غيبي لا يتأهل للإطلاع عليه كل الناس، بل يختص بنفوس تحصّت بعناية إلهية كما قال تعالى: ﴿ عَلِمُ النَّتِي فَلَا يُتَلُهُمُ تَنَيِيةٍ أَمَّنا شَيَّ إِلَهٍ تَمَ التَّقَىٰ مِن رَسُولٍ ( ) فإذا عرفت ذلك ظهر أن كلامه على صادق مطابق لما أردناه فإنه نفى أن يكون ما قاله علم غيب لأنه مستفاد من جود الله تعالى، وقوله:

وإنما هو تعلم من ذي علم إشارة إلى واسطة تعليم الرسول له وهو إعداد نفسه على طول النصيحة بتعليمه، وإشارة أن كيفية وأسباب التطوع والرياضة حتى استعد للانتقاش بالأمور الغيبية والإخبار عنها، وليس التعليم هو إيجاد العلم \_ وإن كان أمراً قد يلزم إيجاد العلم \_ فتين إذن، أن تعليم رسول الشكل لي محرد توقيفه على الصور الجزئية بل إعداد نفسه بالقوانين الكلية، ولو كانت الأمور التي تلقاها عن الرسول في صوراً جزئية أمر لم مثل دعائه وفهمه لها فإن فهم الصور الجزئية أمر ممكن سهل في حق من له أدنى فهم، وإن ما يحتاج إلى الدعاء، وإعداد الأذهان له بأنواع الإعدادات هو الأمور الكلية العامة

الجن، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

للجزئيات وكيفية انشعابها عنها وتفريعها وتفصيلها وأسباب تلك الأمور المتعددة لإدراكها، وما يؤيد ذلك قوله : "علمني رسول الشي ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب، وقول الرسول: "أعطيت جوامع الكلم وأعطي علي جوامع العلم». والمراد بالانفتاح ليس إلا التفريع وانشعاب القوانين الكلية عما هو أهم منها، وبجوامع العلم ليس إلا ضوابطه وقوانينه. وفي قوله (أعطي) بالبناء للمفعول دليل ظاهر على أن المعطي لعلي جوامع العلم ليس هو النبي في با الذي أعطاه ذلك هو الذي أعطى النبي جوامع العلم وهو الحق سبحانه.

أما الأمور التي عددها الله سبحانه فهي من الأمور الغيبية، وقوله:

لا يعلمها أحد إلا الله كقوله تعالى: ﴿ وَيَسَدُمُ مَنَاتِحُ ٱلْغَبَيِ لَا يَعْلَمُهُ الْغَبَيِ لَا يَعْلَمُهُ الْفَيْدِ لَا يَعْلَمُهُ الْلَهِ وَلَهِ : مُعْلَمُهُ الْفَيْسِ فَكَلْ يَظْهِرُ عَلَى غَيْدِهِ أَحْمًا ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَسُولِ﴾ (٢) وهذا الأمر واضح لا يحتاج العاقل إلى استكشافه إلى كَلْفَةَ.

يظهر مما نقلنا عن البحراني - وقد أطلنا فيه - أن معطيات الإمام علي هي التنبؤية والتوقعية أو (الغيبية) مصدرها أمور ثلاثة هي:

١ ـ التكوين الخلقي: أي تكون الخلايا الدماغية التي

<sup>(</sup>١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

 <sup>(</sup>٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

تتحسس ما هو فوق الإدراك الحسبي الاعتيادي للإنسان كالحاسوب الذي بلغ من تطوره العملياني ما تجاوز الأجيال التي سبقته في الصنعة شكلاً ومحتوى، أي في الحجم والخلايا، وهذا التكوين من الله جلت قدرته.

 ٣ ـ الاستعداد النفسي في التحمل والصبر، وهذا ما ألزم نفسه به هي فهو منه.

إذن؛ إن الإمام علياً الله أراده الله أن يكون كذلك فأوصى إلى نبيه الكريم محمد أن يعدّه الإعداد الذي أراده الله فلبّى الرسول أوامر ربه خاصة أنه وجد في الإمام الله الاستعداد المدهش لهذا التكليف الإلهي.

وقد كانت البصيرة المحمدية الملهمة، قد أعطت كلمات النبوءة التي فسّرت جميع ما مر به علي بن أبي طالب من من أو صراعات، وحروب مدمِّرة، داخل الوسط الإسلامي، ومن الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رجل يقال له «فو الثدية» كان \_ قبل ذلك \_ يتجاسر على رسول الله من وهو يوزع غنائم معركة (حين).

\_ إعدل يا محمد!

فيتجاهله الرسول، فيكرر بصلافة:

\_ إعدل يا محمد!

ثم يكرر:

\_ إعدل يا محمد فإنك لم تعدل!

فيجيبه الرسول غضباً:

\_ ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟

أراد البعض قتله، ولكن الرسول أبى ذلك، ثم قال لهم:

«.. سيخرج من ضنضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم إلى نصله فلا يجد شيئاً، ثم ينظر إلى القذذ فكذلك سبق الفرث الدم.. يخرجون على حين غرة من الناس تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم، وصومكم عند صومهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، آيتهم رجل أسود محدج اليد، إحدى يديه كأنها ثدي امرأة، إنهم شر الخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربه عند الله وسيلة..».

وحلَّ وقت آخر، وفي زمن آخر، توجه فيه عليﷺ إلى الخوارج الذين قادوا أنفسهم إلى المذبحة والهزيمة.

كان علي متأكداً أن «ذو الثدية» من بين قتلى الخوارج، قائلاً لأصحابه:

«والله ماكَذَبتُ وما كُذِّبتُ ـ أُطلبوا الرجل ـ إنه في القوم!».

وفتشوا الجثث واحدة واحدة، حتى عثروا عليه فصاح الناس:

ـ ذو الثدية!

خرَّ عليٌ ساجداً شاكراً وهو يقول:

\_ صدق الله ورسوله!

وهلل المسلمون.

الله أكبر.. الله أكبر!

وتواتيه المعرفة الإلهامية بتنبؤ مدهش حين جاؤوه بمروان بن الحكم، بعد انتصاره في حرب الجمل، وكان قد استشفع له الحسن والحسينﷺ طالبين له الغفران.

وانتهى الفتيان بعد قليل من استرحامه، واستنزال عفوه، على الباغي المقهور، ثم أردفا يقولان:

ـ يبايعك يا أمير المؤمنين.

وتأتي ومضة أخرى تميط الغطاء عن أحداث مأساوية قادمة فيا لها من ومضة تكشف عن مأساة كالحة!

كان في طريقه إلى الشام، فوقف عند بقعة؛ سيشتهر إسمها (كربلاء) وظل يرنو إليها بنظرةٍ واجمةٍ، ويهمس بصوت حزين:

«ههنا، ههنا! ههنا موضع رحالهم! ومناخ ركابهم! ههنا مهراق دمائهم».

فتأخذ الناس من حديثه رجفة، ويسألون في توجس وإشفاق:

«وماذا يا أمير المؤمنين؟».

ويتمهل بهم حتى إذا دارت عينه فرأت الحسين، توقف

نظره، على محيّاه في رنوة حانية، ندية غائمة، هتف يجيب:

«ثقل لآل محمد ينزل ههنا.. فويل لهم منكم.. وويل لكم منهم.. ويل لهم منكم: تقتلونهم.. وويل لكم منهم، يدخلكم الله بقتلهم إلى النارا».

ويسير ناكس الرأس إلى مطيته<sup>(١)</sup>.

ونضيف إلى ما أوردناه من تنبؤاته وتوقعاته على الرؤيا الواقعية التي جعلته يرى وجه قاتله «عبد الرحمن بن ملجم المرادي».. يرى يده.. وهيأته فيحدس حدس العارف بباطن الزمن الآتي، كان رسول الله يقول له:

ـ يا علي. . أتعلم من أشقى الأولين؟

ـ نعم. . عاقر الناقة.

ـ أتعلم من أشقى الآخرين؟

ـ لا . .

ـ من يضربك ههنا (مشيراً إلى هامته)، ويخضب هذه (مشيراً إلى لحيته).

وهاهو الأشقى يأخذ حصته من العطاء، عليٌّ يتفحصه مردداً:

ـ من يحبس أشقاها؟

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

ما كان ابن ملجم يعلم ما اذخره له القدر من دور خسيس، لكن علياً كان يتذكر نبوءة الدم، لكن علياً كان يتذكر نبوءة الدم، وفعلة الشقي، فكم قال لبعض خاصته المحبين الذين كانوا يشفقون عليه، حين الحرب من خوض الحشود، واقتحام السلاح، غير آبه شيئاً بما يصيه أثناء القتال:

اإني لا أُقتل محارباً، وإنما أُقتل فتكاً وغيلة.. يقتلني رجل خامل الذكر»

قوالتقت العيون المذعورة، واسعة الحملاق، حائرة النظرات، وتناثر في الجو حوله رشاش الهمسات في تساؤل واستفسار، لكن الإمام مال عنهم إلى الوافد المشبوه، فمنحه عطاءه الذي جاء له، ثم تمثل ببيت شعر لعله أن يغني عن النفس:

أريسد حسيساتسه ويسريسد قستسلسي عسنيسرك مسن خسلسيسلسك مسن مسراد

هنا انبقق من البيت المروي مثل شعاع أضاء في الخواطر ما قد غمض على الناس في بدء ذلك اللقاء، من كلام الإمام، الآن رفع الغطاء وبرح الخفاء وانجاب الستر عن السر المسربل بالغيب، فلا حاجة بهم إلى تعقب أمره، أو تبين ملامحه من خلال غموض الإيماء.. فطالب العطاء الذي أثار قلق القوم، وحرك فيهم الشعور بالخطر حميري من اليمن فيما يعلم نفر منهم غير قليلين، نسبة آل مراد، أهو حليف المراد..؟

ـ هلا تقتله يا أمير المؤمنين؟

ـ فكيف أقتل قاتلي؟

ثم قال:

\_ إنه إن لم يقتلني، فكيف أقتل من لم يقتل؟

أي كيف يقام القصاص بغير جرم، والعقاب قبل الجريمة؟.

ومن تنبؤاتهﷺ لما قال:

اسلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها».

قام إليه رجل فقال:

ـ أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر.

فقال لهﷺ:

والله لقد حدثني خليلي إن على كل طاقة شعر من رأسك
 ملك يلعنك وإن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك وإن
 في يبتك سخلاً يقتل ابن رسول اله .

وكان ابنه قاتل الحسين ﷺ طفلاً يحبو ـ وهو سنان بن أنس النخعي ـ (١).

وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الثمالي، عن سويد بن غفلة أن علياً على خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره فقال: يا أمير المؤمنين إني مررت بوادي القرن، فوجدت خالد بن

شرح النهج ج٢.

عرفطة قد مات، فاستغفر له، فقال ﷺ:

- والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمار، فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال:

ـ يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن حمار، وإني لك شبعة محب.

فقال:

۔ حبیب بن حمار؟

قال:

ـ نعم

قال له ثانية:

ـ الله إنك لحبيب بن حمار؟

فقال:

- إي والله.

فقال:

ـ أما والله إنك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلن بها، من هذا الباب ـ وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة ـ.

قال ثابت:

«فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد

إلى الحسين بن عليﷺ وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته وحبيب بن حمار صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل<sup>(۱)</sup>.

ومن تنبؤاتهﷺ: ما أخبر به أن أعشى همدان يقتل على يد الحجاج بن يوسف الثقفي فكان ما أخبر به.

تلك التنبؤات ما هي إلا غيض من فيض وبعض من كل سقناها لا لغرض إحصائي، بل للإشارة فقط لعل الذين يشككون بأقوال الإمام وخارقيته أن يمزقوا تلك الشرانق التي لفوا أنفسهم بها، كما شكك العقادية بما ورد عنه عن الحجاج وفتنة الزنج وغارات التتار، فقال عنها: «إنها من مدخول الكلام عليه». «هب أن الأخبار عن الحجاج وفتنة الزنج أضيفت إلى الكتاب بعد صدوره بزمن قصير أو طويل ـ لأنه لا يريد أن يتهم الرضى بالوضع ـ ولكن كيف تضاف إلى الكتاب الأخبار عن فتنة التتار، وكل حوادث التتار من حملات جنكيز خان إلى احتلال هولاكو بغداد كان ما بين سنة (٦١٦) وسنة (٦٥٦) وهذه نسخ انهج البلاغة» المخطوطة قبل هذا التاريخ. . وفيها نسخة المتحف العراقي المؤرخة سنة (٥٥٦) هـ أي قبل وقوع تلك الحوادث بمائة عام وفيها هذا الكلام الذي يشير فيه الإمام أمير المؤمنين ﷺ إلى تلك الفتن والمحن وهو لا يختلف عما في النسخ المطبوعة، بل والمخطوطة أيضاً (٢).

يقول ابن أبي الحديد في شرحه خطبة الإمام علي على التي

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

<sup>(</sup>٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده \_ عبد الزهراء الخطيب.

أشار فيها إلى التتار «واعلم أن هذا الغيب الذي أخبر هج عنه قد رأيناه عياناً، ووقع في زماننا، وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا، وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق..».

لا أدري هل يكفي ما نقلنا من شواهد وما ثبتنا من عينات أولتك المشككين في نسبة «نهج البلاغة» إلى الإمام علي هذه إذا كانوا موضوعيين فإنه يكفي وإلا فهم في ضلال مبين، لا يفرقون بين الليل والنهار ولا بين الظلمة والضياء، ولا بين الحق والباطل.

فلو كان علي بن أبي طالب (نوستر آداموس) لطبلوا له وزمروا ولشرحوا رباعياته وعملوا لها أفلاماً عرضوها على الشاشة الصغيرة، ولقالوا فيه ما قالوا بالشواهد والأدلة على صدق تنبؤاته. ولكن علي بن أبي طالب المسلم الأول وأصلب المجاهدين في سبيل الإسلام وابن عم الرسول (في وزوج ابنته ووصيه وباب مدينة علمه، أقول.. ولكن علي بن أبي طالب الخاههم بمعطياته الذهنية فراحوا في ضلالهم يعمهون ويقولون ما لا يفقهون ويلقون الكلم على عواهنه دون الرجوع إلى الأسانيد والثوابت التاريخية التي لا تقبل الرد والطعن.

### ١٢ ـ الزهد:

ومما أخذوه على «النهج» ما فيه من الحث على الزهد، وذكر الموت، وقرض أو ذم الدنيا على منهاج المسيح ﷺ. فالحياة الدنيا انعكاسات سلوكية الإنسان عبر نشاطاته وفعالياته ومعطياته المتعددة الجوانب، والإنسان نفسه ـ منذ أن هيم على هذه الأرض ـ كان أسير مفاصل الحياة؛ فكل مفصل يشده إليه، بهذا القدر أو ذاك، منذ أن كانت تلك المفاصل بسيطة لا تتعدى الغابة ومتطلباتها حتى تعقدت فشملت المدينة الإنسان لها واستيعابه إياها وحيناً تسبقه في ذلك فيظل يلهث راكضاً خلف تلك التمخضات فيسقط في هذه الحفرة أو تلك ويصطدم بهذا الجدار أو ذاك وتأخذه الأمواج متلاطمة بين اصطفاق تلاطمها فلا ينجو منها إلا من كان يجيد السباحة فيرسو على البر متأملاً ذلك التلاطم في الأمواج تأمل من يريد أن يرسم له طريقاً يجعل الحياء معبراً إلى مستقر آخر يبعده عن تلك الحفر والجدران وذلك التلاطم في الأمواج.

وكان علي بن أبي طالب هم ذلك السابع الماهر الذي استطاع أن يتبين طريقه فيتجنب السقوط في حفر الحياة الدنيا والاسطدام بجدرانها والانجراف بأمواجها المتلاطمة، حتى إذا تمكن من ذلك تمكن الواثق من نفسه المعتمد على قدراته الإرادية المعتفردة صار يراقب أولئك المتساقطين في حفر الحياة والمصطدمين بجدرانها والمنجرفين بتيارات أمواجها، وعندما اكتملت الصورة لديه راح يخضعها لفحوصات مختبرية عديدة من حيث المنظور والتساقط اللوني والأبعاد وغير ذلك من مقومات الصورة فخلص من تحليلاته المختبرية تلك إلى: إن على الإنسان حكي يكون في مأمن من حفر الحياة وجدرانها وأمواجها

المتلاطمة \_ أن يعتمد في انعكاساته السلوكية ثالوثاً لا بد منه، شاء أم أبي، هو (الزهد \_ ذكر الموت \_ ذم الحياة).

والزهد في نظر الإمام علي إلى مفهوم خاص قد تفرد به بعد الرسول محمد إذ بدأ بمحاسبة نفسه محاسبة شديدة ونادرة تفوق تصور العقل الإنساني؛ فقد تحدى الإمام مغريات الحياة وزخرفها البراق الخداع بخط مستقيم وثابت واعتمد في ذلك قانوناً صارماً سنّه لنفسه فسار بمقتضاه طوال حياته العاصفة، والقانون هو:

«من نصب نفسه للناس إماماً، فليبدأ بتعليم نفسه، قبل تعليم غيره».

وكان الرسول العظيم الله أسوته الحسنة في ذلك إذ روى عنه قائلاً:

«لقد كان الله على الأرض ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته، فتكون فيه التصاوير فيقول:

يا فلانة، لإحدى زوجاته، غيبيه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لكي لا يتخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو منها مقاماً».

وفي التطبيق العملي نراهﷺ، بعد أن هاجر إلى المدينة مع

من هاجروا إنستغل في مزرعة لأحد اليهود، اوبلغت ثروته ذات يوم أربعة دراهم فكره من أجلها نفسه، وسعى سعيه بالليل والنهار حتى أنفقها على ذوي حاجات فنزلت فيه الآية الكريمة: ﴿ اللَّذِينَ يُمْنِقُونَكُ أَمْوَلَهُمْ بِالَّذِيلِ وَالنَّهَارِ سِكًا وَكَلَائِيكُمْ.. ﴾ (١).

وخاطب بعض معارضيه بقوله ﷺ:

اما تنقمون مني؟ إن هذا من غزل أهلي (وأشار إلى قميصه)).

ورآه عدي بن حاتم وبين يديه شنّة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح، فقال:

ـ إني لا أرى لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً وبالليل ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا فطورك؟

فقال الإمام ﷺ:

علل النفس بالقنوع وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها

ورد على الذين كانوا يرون في قوته ﷺ ما يضعف صحته، فيقعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان، فقالﷺ:

اكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب، فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران، ومنازلة الشجعان، ألا إن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضر أرق جلوداً، والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً، وأنا من رسول الله

<sup>(</sup>١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

كالصنو من الصنو والذراع من العضد، والله لو تظاهرت الدنيا، على قتالي لما وليت عنها؟.

إن زهد علي بن أبي طالب الله لم يكن لنزوة طارتة ولا لحاجة مرحلية، بل هو يستند على قانون ثابت مستقيم كما بينا. إذ وضع نصب عينيه مقولة الرسول العظيم محمد فل منهجاً له في تعامله مع قوانين الحياة.

## إذ يقول عمار بن ياسر:

- سمعت رسول الله يقول لعلي بن أبي طالب: يا علي، إن الله عز وجل قد زيّنك بزينة لم يتزين العباد بزينة أحب إليه منها: الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حب المساكين ورضوا بك إماماً ورضيت بهم أتباعاً، فطوبي لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك(1).

إذن، فزهد الإمام علي ما كان إلا بأمر من الله على لسان رسول الله الله فما عليه إلا التنفيذ ليكون موضع ثقة الله ورسوله.

فالإمام في زهده ما كان هدفه أن يرسم منهجاً للناس في انعكاسات سلوكهم على بعضهم، بل كان ينفذ أمراً صدر إليه من صاحب القرار الأول على لسان رسوله وخازن وحيه محمدي.

ونحن نستدل على هذا من كتبه ورسائله إلى عمّاله ونصحه أصحابه الخلّص. من ذلك كلامه مع عاصم بن زياد الحارثي حين

<sup>(</sup>١) أسد الغابة.

سمع عنه أنه لبس العباءة وتخلى عن الدنيا، فدعاه ﷺ، فلما رأى ما هو عليه قال:

\_ يا عُدَيّ نفسه لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى الله أحلَّ لك الطبيات وهل يكره أن تنالها؟ أنت أهون على الله من ذلك.

قال:

 يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشومة مأكلك؟

قال:

\_ ويحك إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيغ بالفقير فقره.

ومنه عهده لمحمد بن أبي بكر الذي جاء فيه:

(إن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في اخرتهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذ الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح (().

ومنه رسالته لعثمان بن ضيف واليه على البصرة جاء فيها: «ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب

<sup>(</sup>١) شرح النهج.

هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي وأكباد حرى؟ أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الزهد، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيشيه(١٠).

أما ذكر الموت في منهج الإمام على ﴿ الذي ورد في «النهج» فأخذه المشككون حجة بعدم نسبته إليه \_ فهو مستمد من الفرآن الكريم، الذي عاش الإمام ﴿ تفاصيله من بدايات الدعوة الإسلامية حتى وفاة الرسول الكريم ﴿ وانقطاع الوحي؛ فقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿ أَيْتَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُمُ أَلْمُونُ ﴾ (أَنْ

وقـولـه ـ جـل مـن قـائـل ـ : ﴿كُلُّ نَفْسِ دَآيِقَةُ ٱلْمُؤْتِّ﴾"، وقوله عز وجل:

﴿ فَأَصَيَتَكُمْ شُمِيبَةُ الْمَرْيَّ ﴾ (أ. وقوله جل شأنه: ﴿ وَيَمَاتُتُ كُنُّ النَّرِيّ بِالْغَيِّهُ ﴿ \* وقوله جلت قدرته: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَارِهُ ﴿ \* ( ) وقوله جلت قدرته: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَارِهُ ﴿ \* ( ) وقوله عز من قائل:

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

<sup>(</sup>٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

 <sup>(</sup>٤) سورة المائدة، الآية: ١٠٦.

<sup>(</sup>٥) سورة ق، الآية: ١٩.

<sup>(</sup>٦) سورة الرحمن، الآية: ٢٦.

# ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجْهَةً ﴾ (١). الخ.

وهذا من الأمور البديهية لأن الإمام الله منذ نعومة أظفاره تربى في حجر النبوة ورضع من لبان الإيمان وبنى نهجه على وفق ما رأى وسمع وتلقى من تفاصيل الدعوة الإسلامية، بما فيها الوحي والسلوك اليومي للرسول الكريم الله وما جرى في تضاعيف تلك الدعوة من صراعات قبلية ومذهبية وانشقاقية (الردات) وحروب، وغيرها فكونت الأساسات الإرتكازية لبناء الإمام الفكري والعقائدي الشامخ؛ فشخص تلك ارتكازاته لا بد له أن يجعل منها منهجه في الحياة تفكيراً وتطبيقاً، وهكذا إن ما ورد في نهج البلاغة، إن هو إلا خلاصة ما نشأ وتربى عليه الإمام فهو - إذن - منتسب إله الله بقفو وقضيضه من ألفه إلى يائه بما فيه الزهد والموت وذم الدنيا.

ومبدأ ذكر الموت قائم بالأساس ـ ليس على التشاؤم والهزيمة من متطلبات الحياة ـ على أنه يذكر الإنسان بأن ايميش شجاعاً لا يرهب سلطاناً، ولا يجبن في نزال، ولا يكف عن القتال، كريماً لا يحرص على مال، عادلاً لا يظلم بريئاً من الحبث والجمع، صابراً في البأساء والضراء، شاكراً عند الشدة والرخاء، لا تزعزعه الشدائد ولا تثني عزمه الأوابد (٢)، عزيزاً لا يخزى ولا يذل، عاملاً بجد لا يكل ولا يمل، لا تريبه ريبة، ولا يجزع لمصيبة، لا تفسده الشهوات،

سورة القصص، الآية: ٨٨.

<sup>(</sup>٢) الأوابد: جمع آبدة وهي الداهية.

ولا تقوده اللذات، ولا تضعضعه البليات، لا يؤخر عملاً إلى غد مخافة أن يدركه الأجل فيفوته أجر العمل.

وهذا هو السبب في عز المسلمين في الغابر، وذلهم في الحاضر، فإنهم كانوا يذكرون الموت في جميع أوقاتهم، حتى أن أصحاب رسول الشي كانوا لا يتركون الوضوء مخافة أن تدركهم ساعة وهم محدثون، فلما أيقنوا أنهم صائرون إلى الموت لا محالة وكانوا ذاكرين له في جميع حالاتهم هانت عليهم نفوسهم فأرخصوها في سبيل الله، وجدوا في العمل فادركوا غاية الأمل، ومن هانت عليه نفسه عز وأبى الذل، وكان ذلك شعارهم في جهادهم، وغزواتهم وأرجازهم وحروبهم.

هذا العباس بن عليﷺ في رجزه عند جهاده من هم أكثر منه عدداً وعدة:

لا أرهب الموت إذا الموت زقا حتى أداري في المصالبت لقى (١) إني أنا العباس أغدوا بالسقا ولا أخاف الشر عند الملتقى

وقد اقتدى بذلك بأخيه الحسين ﷺ إذ يقول في رجزه:

الموت خيرٌ من ركوب العار والعارُ أولى من دخول النار وقد جرى شعراء المسلمين وأدباؤهم، في صدر الإسلام، في هذا المجرى نقال قاتلهم:

وإذا لم يكن من الموت بدّ فمن العار أن تموت جباناً

 <sup>(</sup>۱) زقا: بمعنى صاح، والمصاليت جمع مصالة: وهو الرجل السريع المتشمر.

وما أحسن قول المتنبي حين قال:

إذا غـامـرت فـي أمـرٍ مـرومٍ فلا تقنع بما دون النجومٍ فطعم الموت في أمرٍ عظيم فطعم الموت في أمرٍ عظيم الموت في أمرٍ عليه الموت

وكانوا يعدّون نسيان الموت ضلالاً، وذكره هدّى وكمالاً فقال شاعرهم:

صاحِ شمّر ولا تزل ذاكر المصوت فنسيانه ضلالٌ مبينُ

بذلك حسنت حالهم، وصلحت أعمالهم، وأدركوا ما أملوا، وعز سلطانهم، وقويت شكيمتهم، وسخروا البلاد، وخضعت لهم جبابرة العباد، ولما حلت الدنيا بأعينهم، وتناسوا ذكر الموت أسرعوا إلى اللذات وانقادوا إلى الشهوات، وهابوا الموت ففزعوا لكل صيحة وصوت، وتداعت أركانهم، وتزعزع سلطانهم، فهلكوا وضلوا، وخابوا وذلوا، فذكر الموت حياة فيه رضا الرحمن، ونسيانه ممات فيه مرضاة للشيطان (١٠).

أما ذم الدنيا الذي ورد في «النهج» فاتخذه المشككون قميص عثمان بعدم نسبة ما في «النهج» إلى الإمام علي ، فهو مردود أيضاً لأن الإمام ، للله لله الدنيا بمعنى أن نميش في كهوف حجرية ونغل أيدينا إلى أعناقنا وندير ظهورنا عما فيها مما خلقه الله للإنسان رحمة ونعمة، فهو الذي دعانا إلى أن نأكل «من طببات الدنيا» وننعم بخيراتها من ماء وشجر وطير وحيوان في ﴿الْمَالُ وَالْبَكُونَ ـ هما ـ زِينةٌ الْحَيْوة الدُنيا همن على عدل ترك ما خلق الله

<sup>(</sup>١) إحياء الشريعة.

<sup>(</sup>٢) سورة الكهف، الآية: ٤٦.

في الدنيا لخدمته فهو ظالم نفسه في تركه ما وهبه الله إياه، فيبوء بخسران مبين.

وتأسيساً على ذلك إن الإمام علياً ﷺ لم يذم ما حلل الله في الدنيا، بل ذم ما حرم، وما حرّم ينسينا ذكر الله ونعمه علينا ويلهينا عما أوجبه علينا من إعداد أنفسنا لحياة الأخرة الدائمة.

فالدنيا في «نهج البلاغة» على ضربين:

دنيا تطلب لذاتها مع الغفلة عما ورائها وهي المذمومة والتي ذكرها الإمام عليﷺ بالذم.

ودنيا تطلب لما بعدها وتؤخذ من حلّها، وتنال من الوجه الذي أذن الله به وهي المحمودة \_ وقد أشار الإمام هي إليها أيضاً \_ لأن «الدنيا خلقت لغيرها ولم تُخلق لنفسهها (''). وهي «دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن يزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة ('')

فصفوة القول: إن أمير المؤمنين 學 يرى «أن ما أحل الله في الدنيا أكثر مما حرّم منها، وبمقدور الإنسان أن يتمتع بزينتها المحللة ويتناول من طيبات رزقها مع الحذر من اتباع الهوى، وطول الأمل».

<sup>(</sup>١) شرح النهج.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق نفسه.

﴿ قُلُ مَنْ حَرَّمَ زِينَــَةَ اَلَّهِ اَلَّتِيَّ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ. وَالطَّيِبَـٰتِ مِنَ الرِّزْفِيُّ (١٠).

وإذا استعصى على الإنسان أن يتوصل إلى ذلك إلا بما حرّم الله، (فطوبى للزاهدين في الدنيا) (أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً، وماءها طبباً) (١٠). و(وكلَّ مقتصر عليه كافي) (٢٠). وقوما خير بعده النار بخير، وما شر بشر بعده الجنة، وكل نعيم دون النار عافية (٤٠).

ولهذا قالﷺ «والله لتن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأَجَرُّ فِي الأغلال مصفداً، أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، (<sup>00)</sup>.

نخلص من ذلك كله إلى أن «الزهد وذكر الموت وذم الدنيا» في «نهج البلاغة» إن هو إلا منهج اختطه الإمام علي الله في الأنه وعى حقيقة الإسلام أكثر من غيره منذراً نفسه لمعطياته التربوية، فهو امتثال لأوامر الله بنفس راضية مرضية ولم يرد من ذلك هجر ما وهبه الله للإنسان والسكن في الكهوف والغابات بمليل أنه الله يتزوج وأولد أولاداً وأكل وشرب مما رزقه الله بالطيب الحلال، ولكنه في ذلك كله ما كان ينسى الله وفضله على

سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق نفسه.

<sup>(</sup>٣) المصدر السابق نفسه.

<sup>(</sup>٤) المصدر السابق نفسه.

 <sup>(</sup>٥) المصدر السابق نفسه. وانظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده لعبد الزهراء الخطيب.

العالمين فتجنب الباطل وتمسك بالحق في سلوكه اليومي فوصلتنا انعكاساته السلوكية من ناحية المعطى الفكري من خلال «النهج» فهو له ومنه وإليه يعود بالنسب الصحيح والقول الصريح.

## ١٣ ـ وصف الحياة الاجتماعية:

ومما تعكزوا عليه من تشكيك في نسبة «النهج» إلى الإمام علي هي الحديث الحديث : إن فيه وصف الحياة الاجتماعية على نحو لم يُعرف إلا في عصور متأخرة.. الأنه رأى أن ما ورد فيه «يشكل طعناً شديداً على الوزراء والحكام والولاة والقضاة والعلماء في السلوك والأخلاق، وفي النمم والضمائر ووصفا للقضاة بالجهل وعدم المعرفة بأحكام الشريعة (1).

نفهم من كلام «أحدهم» هذا أن الإمام علياً ﷺ تناول في «النهج»:

١ ـ الولاة

٢ \_ القضاة

۳ ـ العلماء

بما الم يُعرف إلا في عصور متأخرة.

في الواقع إنني ما كنت راغباً في خوض هذا الموضوع، ولما ألحَّ عليَّ المنهج قررت أن أمرَّ به مروراً سريعاً لا لأنني أفتقر لأدوات الرد إنما لأن الموضوع، من أساسه عنكبوتي النسج

<sup>(</sup>١) أنظر أثر التشيع في الأدب العربي.

في مقدماته ونتائجه، ولكن \_ وبعد إطراقة من التفكير والتأمل \_ وجدت أن الواجب يدعوني أن أفصّل فيه بعض التفصيل فأغوص في أعماق بحره لأرِي اللين شدوا عيونهم بخرق سود لثلا يروا الشمس ساطعة فأنكروا عليها سطوعها.

أقول. . لأُرِيهُم أن في بحر علي بن أبي طالب لمرجاناً كثيراً وياقوتاً مختلفةً ألوانه.

لا شك أن أي متتبع ـ موضوعياً كان أم غير موضوعي ـ يعرف أن التاريخ الإسلامي ـ منذ بدء الدعوة المحمدية حتى نهاية المحكم الراشدي ـ كان يتميز بعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والمالي وغيرها من مرتكزات أي نظام، وذلك أمر طبيعي لأن ما جاء به الرسول محمد بن عبد الش بوحي من الله، لم يكن بالأمر الهين ولا هو من طراز التغييرات الشكلية في البنى الفوقية، أو الهيكلية المعروفة في ذلك المهد، أو غيره، مما قبله وبعده، بل كان يهدف إلى تغيير جذري وشامل في البناء الفوقي ـ ليس في الحالم كله ـ ..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَلَمِينَ ﴾ (١).

والعلاقات التحتية مع قمة ذلك الهرم العبني على علائق اجتماعية غاية في التخلف السياسي والاقتصادي والفكري، هو قائم على مرتكزين أساسيين هما:

«السيد والمسود» أو «المالك والمملوك».

<sup>(</sup>١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

وأى خروج على ذينك المرتكزين كان يُعد خروجاً على قيم هي موضع اعتزازهم الشديد، بل هي مما لا يمكن السكوت على أي تغيير يحصل في بنائه الهرمي ذاك، لأنها كانت متجذرة في عمق التاريخ العربي، ولكن جاءت الدعوة الإسلامية فخضخضت ذلك البناء فوجدته انمراً من ورق، فوضعت على مرتكزاته معول الحق فانهار انهياراً عجيباً ، وعبثاً كانت محاولاته في لعق جراحاته لأن معول الإسلام كان يحفر في العمق من ذلك الجذر ليقتلعه من أساسه، وهكذا بدأ الإسلام يؤسس مرتكزات جديدة لبناء قيم جديدة عليها بما لم تألفه الجزيرة العربية؛ إذ جعل العبد بإزاء سيده، بل فضّله أحياناً عليه «لا فضل لقرشي على حبشي إلا بالتقوى، واكلكم لآدم وآدم من تراب، واكلكم سواسية كأسنان المشط» والكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الالمسلمون إخــــوة" و﴿إِنَّا خَلَقَنَكُمْ ِ مِن ذَكُرٍ وَأَنْتَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُونًا وَقَمَآيَلَ لِتَعَارَفُوا ۖ إِنَّ أَكْرَمُكُمْ عِندَ اللهِ أَنْقَنكُمْ ﴾(١). وتلك القيم الجديدة لا شك أنها ليست جديدة عليهم في التلقي ووجوب التنفيذ فحسب، بل هي مما شكلت صفعة قوية لذلك الموروث المتجذر في أعماق النفس العربية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يِقَوْمِ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِمُ ۗ (٢٠).

ودليلنا أن أول من آمن بالدعوة الإسلامية، في ساعاتها وأيامها الأول هم أولئك العبيد الذين ارتبط مصيرهم بأراضي أسيادهم كالحيوان والشجر بل الحيوان والشجر أفضل منهم

<sup>(</sup>١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

<sup>(</sup>٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

لأنهما كانا يجدان من يخدمهما ولكن العبيد قد الخلقوا للخدمة..!» فقط فلا أحد يقيم وزناً لآدميتهم وتركيبهم الإنساني من مشاعر وعواطف وأحاسيس، حتى كانت الشرارة الأولى لثورة الحق فزحفوا نحوها وحملوا مشاعلها في طريق وعر لاحب.

أما السادة ـ ما خلا النفر القليل منهم ـ فقد دخلوا الإسلام مضطرين غير مؤمنين ليحافظوا على مياه وجوههم ومراكزهم الاجتماعية إزاء هذا الزحف النوراني الكبير.

ولكن هل يبقى أولئك السادة مستسلمين لهذا التغيير الجذري الشامل؟

إن التاريخ ليذكر - منذ بدء التدوين - أن لكل ثورة سقوطاتها على الطريق، وثمة عبارة تقول: «الثورة تأكل أبناءها» وهذا أمر طبيعي جداً، خاصة في ثورة مثل الثورة الإسلامية الانقلابية ذات القيم الشمولية الجذرية، - وقد المحنا إلى ذلك في فقرة سابقة - إذ ما إن استقرت الأوضاع لصالح الإسلام - كمقيدة - في الجزيرة العربية في الأقل حتى بدأ التململ يشكل ظاهرة، في صفوف «علية» القرم فكانت الآيات القرآنية تنزل تباعاً ناصحة حيناً ومرشدة أحياناً ومحذرة مرة ومتوعدة تارة وناعتة إياهم بدالما والبهتان والرياء والخديعة، وما إلى ذلك من صفات أولئك الذين دخلوا دين الله لتطمين مصالحهم وهم بذلك مضطرون حيال هذا الزحف الذي أققدهم صوابهم.

وبعد صحوتهم تلك صاروا يخططون للالتفاف على «الثورة»

فأبدوا تقرباً عجيباً من قيادتها الأساسية المحمد بن عبد الله الساسب من القادة الذين أعقبوا الرسول في تتغلغلوا في المناصب المختلفة، السياسية منها والإدارية والفقهية والقضائية والعسكرية، وبذلك استطاعوا أن يبسطوا نفوذهم على الهيكل الهرمي لدولة الإسلام ـ خاصة بعد رحيل الرسول الكريم في إلى اللطيف الخبير والواقع الجديد، بازدواجية غير منظروة إلا لمن يمتلك إدراكا حسياً عالياً ومجنّات غاية في التحسس مثل الإمام علي في. فهم إما أن يكونوا تجاراً أو أرباب مهن فهؤلاء صاروا ـ باسم الإسلام . \_ يوسعون قاعدتهم على حساب القيم الجديدة وباسمها.

فماذا ننتظر من الإمام علي ، وهو الذي يمتلك أأذناً واعية، ورضع لبان العلم من رضاب رسول الرحمة وقائد التغيير الجذري الشامل؟

هل يدع أولئك على "كيفهم" يحفرون لهم أسساً جديدة ويضعون فيها مرتكزات جديدة مخالفة ـ في تخطيطها وهندستها ـ ما جاء به الإسلام؟ أم يتصدى لهم لتبصيرهم أولاً ولتحذيرهم ثانياً ولتعريفهم للرعية ثالتاً؟

ذلك ما فعله منذ أول بادرة ظهرت للانحراف عن مبادئ الإسلام فقال عن أولئك «المتاجرين» بالإسلام: «المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه، فإنهم مطرد المنافع، وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح، في برّك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون

ليس بتلك الإشارة التبصيرية وحدها أشار الإمام هله إلى عامله على مصر، بل ترصد تحركاً آخر هو إبقاء الأرض يباباً بلا عمران لتظل أمور أولئك «التجار» «ماشية» في التفافهم على مبادئ القيم الجديدة مما جعل الإمام يتبه عامله مالك الأشتر على مصر بقوله: "وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء أو قلة انتفاعهم بالعبر.. وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لغيرهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالمعارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد والمهاك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن يشكو ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة (أي مطر يبل الأرض)، أو إحالة أوض

<sup>(</sup>١) من رسالة إلى مالك الأشتر/ شرح نهج البلاغة.

اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم، معتمداً فضل قولهم؛ بما ذخرت عندهم من إجماعك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم.. فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد، احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل بما حملته،

ولأنه ﷺ يعلم بنواياهم ومقاصدهم ونوازعهم وركضهم الحثيث وراء منافعهم الذاتية، نراه في اليوم الثاني من ببعته خطب قاتلاً:

«أيها الناس إنما أنا رجل منكم، لي ما لكم.. وعليً ما عليكم.. واني حاملكم على منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما أمرت به، إنَّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق، أيها الناس.. ألا لا يقولن رجال منكم - غداً - قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف الروقة.. إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون: «حرمنا ابن أبي طالب رسول الله يرى أن الفضل له على سواه بصحبته فإن الفضل غذا رسول الله وثوابه وأجره على الله.. ألا وأيما رجل الله.. ألا وأيما رجل استجاب لله ولوابه وأجره على الله.. ألا وأيما رجل استجاب لله ولرسوله فصدق ملتنا ودخل ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب

حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء، فإذا كان الغد فاغدوا علينا إن شاء الله، ولا يتخلفن أحد منكم.. من أهل العطاء».

فهل يرضي ذلك أولئك الذين لم يعتنقوا الإسلام إلا بعد أن رأوا فيه واقعاً لا محيص عنه فرفعوا راية الاستسلام بدل راية الإسلام، ولكنهم ظلوا يتحينون الفرص لاستعادة (مجدهم)، ولما تولى الإمام علي هما الأمر وصار يحكم بمبادئ القرآن وسنة محمد وهي توجهوا إليه بطريقة التفافية أن يخفف عنهم في سياسته، أجابهم هي:

«أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟

والله ما أطور به ما سمر سمير وما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً . . ! لو كان المال لي لسويت بينكم، فكيف وإنما المال مال الله؟

ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه أو يضعه في الآخرة».

وهذه السياسة إن وافقت بعض المسلمين المؤمنين حقاً بمبادئ الإسلام فإنها لا توافق أولئك الذين أعمت الدنيا بصائرهم فأستهم نقاء المبادئ وصفاء العقيدة وبهاء القيم النبيلة التي جاء بها الإسلام، الذي ساوى بين العبد وسيده وجعل التقوى مقياساً يُحرفُ به المسلم المؤمن من المنافق، وأبرز ما في المساواة الصلاة والزكاة والحج، إذ أن الصلاة يستوي فيها العزيز والذليل

ويقفان موقفاً بمكان واحد، ينطقان بنفس الألفاظ ويأتيان نفس الحركات، ونلمس في الزكاة التي تؤخذ من الغني بعض عروض الحياة لتردها على الفقير حتى يشعر كلاهما، وإن باعدت بينهما الأنساب بشعور الإخاء، ونلمسها في الحج، تزدحم بأرضه المقدسة أقدام الرجال والنساء، فلا يميز بينهم فارق واحد، بمناسك الحج حفاة شبه عراة لا يسترهم إلا ذات اللباس يستوي فيه كافة الناس أردية الأكفان، التسوية الحقة هي جماع الإسلام والغاية التي هدفت إليه شعائره وتعاليمه وأتاح لهم جميعاً تكافؤ المرص في موقفهم أمام الشه(١٠).

وهذا ما انتهجه الإمام علي ﷺ في سياسته المالية إذ:

«دخل على بيت مال البصرة في جماعة من المهاجرين والأنصار فنظر إلى ما فيه من العين والورق، فجعل يقول: يا صفراء غري غيري، ويا بيضاء غرّي غيري.. وأدام النظر إلى المال مفكراً، ثم قال:

(أقسموه بين أصحابي ومن معي خمسمائة خمسمائة، ففعلوا فما نقص درهم واحد، وعدد الرجال إثنا عشر ألفاً)<sup>(۲)</sup>.

ودكان يخف دائماً إلى تقسيم الأعطيات على الناس، كلما اجتمع لديه منها شيء، ويكره أن يؤخرها عنهم، كأنما يتأثم من إرجائها، أو اكتنازها إلى حين، <sup>٣٥</sup>.

<sup>(</sup>١) الإمام على بن أبي طالب/ عبد الفتاح عبد المقصود.

<sup>(</sup>۲) المسعودي/ مروج الذهب.

<sup>(</sup>٣) الإمام على بن أبي طالب/ عبد الفتاح عبد المقصود.

وكان يخاطب أهل الكوفة بقوله: "يا أهل الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ورحلي وغلامي، فأنا خائن".

لقد كانﷺ حريصاً على أموال المسلمين شديداً مع ولاته إن هم حادوا عن الطريق القويم، إذ كتب يوماً إلى زياد بن أبيه:

"وإني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت في المسلمين شيئاً صغيراً وكبيراً، لأشدنًّ عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر، ضئيل الأمر.....

وخاطبه في كتاب آخر: افدح الإسراف مقتصراً، واذكر في اليوم غداً، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت من المتكبرين، وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدقين؟ وإنما المرء مجزيًّ بما سلف وقادم على ما قدم.. والسلام».

وكذلك خاطب الأشعث بن قيس عامله في آذربايجان، بقوله:

وإن عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك أن تفتات (أي تستبد) في رعية، ولا تخاطر إلا بوثيقة، وفي يدك مال من مال الله عز وجل، وأنت من خزانه حتى تسلمه إليّ، ولعلي ألا أكون شر ولا تك لك. . والسلام.

أما مصقلة بن هبيرة الوالى على بعض مقاطعات فارس فقد

ألزمه ﷺ، بإعادة المبلغ الذي أخذه من بيت المال، والذي أنقذ فيه من الأسر خمسمائة رجل معظمهم من بني بكر بن وائل قوم مصقلة، فقال له في كتاب:

البلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك، وعصيت إمامك، إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم وأريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك عليّ هواناً ولتخفّن عندي ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تصلح دنياك بحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً».

ولما طلب منه ﷺ المغيرة بن شعبة أن يبقي على الولاة الذين ولاهم عثمان أجابهﷺ بحزم:

«والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يُولَى».

ولما أكد المغيرة على إبقاء معاوية لأن له "جرأة، وهو في أهل الشام يسمع منه. . " أجابه بالحزم نفسه:

«لا والله. . لا أستعمل معاوية يومين أبداً».

وكذلك عندما طلب إبن عباس منه ذلك ﷺ أجابه:

«لا والله، لا أعطيه إلا السيف».

ويرفع شعاره الذي اتخذه مرتكزه الأساس في سياسته العامة رهو: «إن الرعية لا تصلح إلا بصلاح الولاة».

ويطرح معادله الموضوعي في الربط بين الراعي والرعية فيقولﷺ:

 وأعظم ما افترضه سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كلّ، فجعلها نظاماً لالفتهم وعزاً لدينهم.

قليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، فقطمع في بقاء الدولة، ويست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرعية وليها، أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين (أي الفساد) وتركت حجاج السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وكثرت عملل النفوس، فلا يُستوحش لعظيم حق عُطّل، ولا لعظيم باطل غطر...

نهناك تذل الأبرار، وتعز الأشرار، وتعظم تبعات الله سيحانه عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه، فليس أحد ـ وإن اشتد على رضا الله حرصه، وطال في العمل اجتهاده ـ ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له، ولكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم، ولتعاون على إقامة الحق بينهم، وليس امرؤ ـ وإن عظمت في

الحق منزلته، وتقدمت في الدين فضيلته ـ بفوق أن يُعان على ما حمّله الله من حقه، ولا امرؤ ـ وإن صغرته النفوس، واقتحمته العيون ـ بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه'``.

وجعل عنها وشمسه التي لا يحيد عنها وشمسه التي يستحم بدفتها ويستنير بضيائها، وفي هذا الإطار يكتب إلى الأسود ابن قطيبة صاحب جند حلوان بفارس يقول على:

«أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه، منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء، فإنه ليس في الجور عوض عن العدل. فاجتنب ما تنكر أمثاله، وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجياً ثوابه، ومتخوفاً عقابه.

واعلم أن الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها منها قط ساعةً إلا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة.

وإنه لن يغنيك عن الحق شيء أبداً، ومن الحق عليك حفظ نفسك، والاحتساب على الرعية بجهدك، فإن الذي يصل إليك من ذلك أفضل من الذي يصل بك والسلام،

ويجمل ﷺ صفات الوالي العادل بقوله:

الله أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هُدِيَ رَهَدى، فأمّام سنةً معلومة وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة، لها أعلام وإن البدع لظاهرة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضلً وصلً به، فأمات سنة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإني

<sup>(</sup>١) نهج البلاغة.

## سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عابر، فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها،(۱).

ويستخدم الإمام علي ﷺ المتقابلات في معادلات حسابية بسيطة لتوضيح معنى العدل ومعنى العلاقة بين العامة والخاصة، أي بين الراعي والرعية فيقولﷺ من كتاب له إلى مالك الأشتر:

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل، وأجمعها لرعبة، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يُفتفر مع رضا العامة، وليس أحد من الرعبة أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند العطاء، وأبطأ عئراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين وجماع المسلمين، والعدة للأعداء؛ العامة من الأمة، فليكن صفوك لهم، وميلك معهم، (").

وكان السعية يوصي عماله بعدم الاحتجاب عن الرعية ويدعوهم إلى مخالطتهم ليسمعوا منهم وليقفوا على همومهم وتطلعاتهم.

## قالﷺ يوصي قثم بن العباس عامله على مكة:

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق نفسه.

«لا یکن لك إلى الناس سفیر إلا لسانك، ولا حاجب إلا وجهك ولا تحجین ذا حاجة عن لقاتك بها، فإنها إن ذیدت عن أبرابك في أول ردها، لم تُحمد فیما بعد على قضائها، (۱۰).

وكتب ﷺ إلى الأشتر يوصيه:

«. . فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية، شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن، ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما تواري عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تُعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين؛ إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عنك مسألتك إذا أيسوا من نبلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب الإنصاف في معاملة. . واجعل لذوى الحاجات قسماً تُفَرِّغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتُقعِد عنهم جندك وأعوانك، من حرسك وشُرطك، حتى يكلمك مكلمهم غير متتعتع . .

ثم احتمل منهم الخرق والعين (الخرق: العنف. والعين: العجز عن النطق) ونعٌ عنهم الضيق والأنف، يبسط الله عليك

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار. ثم أمور من أمورك لا بد من مباشرتها، منها إجابة عمالك، بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك، (۱).

وحذر هي الأشتر من أولئك الذين قلنا إنهم اعتنقوا الإسلام لا بسبب إيمانهم بمبادئه بل لكونه صار أمراً واقعاً فخافوا على مصالحهم وامتيازاتهم فانخرطوا في صفوفه، ومع ذلك فقد تغلغلوا في المناصب العليا فقال هي يوصي الأشتر ويحذره منهم:

وإن شر وزراتك من كان للأشرار من قبلك وزيراً ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة، فإنهم أعوان الأثمة وإنجوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آئماً على إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً، فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك، مما كره الله لأوليائه، وأقعاً ذلك من هواك حيث وقع، وألصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم والصدق، ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من الغرة (٢٠٠٠).

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق نفسه.

ثم يعكس المعادلة فيوصيه باختيار من هم بالمروءة ألصق وكذلك بالكرامة والشرف والصدق، إذ أنهم من يؤتمن جانبهم فلا يخونون صاحبهم، فقال ﷺ:

«ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف (أي المعروف»)(١٠).

وبعد أن ينتهي ﷺ من إيصائه باختيار رجاله يوصيه بكبح جماح نفسه وصدها عن الشهوات التي تبعده عن دينه وتخلخل إيمانه، إذ يقولﷺ:

وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك وشعَّ بنفسك عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الإنصاف منها في ما أحبّت أو كرهت، وأشعر، قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللطف بهم... ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم... اجتنب ما تنكر أمثاله... إن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، فيقولون فيك ما كنت تقول فيهم؟.

ثم يخلص الله من الخاص إلى العام فيحلل النفس الإنسانية تحليلاً علمياً لن يقول بغيره أحد علماء العصر، إذ يقول ؟ الله العالم الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق،

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

يفرط منهم وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يحطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك».

ثم حدد له أسس التعامل مع رعيته بما يضمن سلامة الحكم وتكافؤ الفرص وإشاعة الأمن والاستقرار، ونشر العدالة الإنسانية إذ يقول عليه:

الا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة (١٠).

ثم «لا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنّة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها)(^).

ثم «وأكثِر من مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك».

ثم الياك والمن على رعبتك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت،

<sup>(</sup>١) المصدر السابق نفسه.

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق نفسه.

عند الله والناس، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَفَتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفَكُونَكِ﴾"(١) . .

ثم يذكر ﷺ شروط الوالي (الحاكم) فيأتي بالسبب ونتيجته في صفات عديدة للوالي، فيقولﷺ:

وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والنماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيظلهم بجهله، ولا الجافي فيقطمهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيلهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة».

وروي أن شريح بن الحارث القاضي، اشترى على عهده هذه اراً بثمانين ديناراً، فبلغه ذلك فاستدعى شريحاً وقال له:

«بلغني أنك ابتعت داراً بثمانين ديناراً، وكتبت لها كتاباً وأشهدت فيه شهوداً.

فقال شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين.

فنظر إليه عليه نظرة المغضب ثم قال:

يا شريح أما أنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بينتك، حتى يخرجك منها شاخصاً، ويسلمك إلى قبرك

<sup>(</sup>١) سورة الصف، الآية: ٣.

خالصاً، فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، ونقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة! أما أنك لو أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة، فلم ترغب بشراء هذه الدار بدرهم فما فوق».

أما عثمان بن حنيف الأنصاري، عامل الإمام علي في في البصرة، فقد دعي إلى وليمة قوم من أهل البصرة، فمضى إليها، فبلغ ذلك الإمام علياً الله المتنكراً ذلك قائلاً:

«أما بعد يا بن حنيف، فإن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه».

ثم تحدث ﷺ عن منهجه في الحكم فدعا الولاة أن يعينوه على إنجاح هذا المنهج فقال ﷺ مخاطباً ابن حنيف:

«ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (أي ثويه الباليين) ومن طعمه بقرصيه (أي رغيفيه)، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبرأ، ولا ادخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا، ولا حزت من أرضها شبرا، ولا أخذت منه إلا كقوت أنان دبرة (التي عقر ظهرها فقل أكلها) وهي في عيني أوهى وأهون من عقصة مقرة... وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق (كناية عن الصراط)، ولو شئت الامتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة أو أبيت مبطاناً وحولي بطونٌ غرثى وأكباد حرّى أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءٌ أن تبيت ببطنة وحولك أكبادٌ تحن إلى القدِّ

أأقنع من نفسي أن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش! فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة إلى شغلها تقممها (أي أن البهيمة السائبة شغلها أن تلتقط المرسلة إلى شغلها أو علم أو أترك سدى القمامة) تكترش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، أو أترك سدى أو أهمل عابداً، أو أجر حبل الضلالة، أو أعتصف طريق المتاهة».

لم يكتف على الطريق الذي للذي لله عن أي حيدة عن الطريق الذي رسمه لهم الإسلام بل صار يحاسب نفسه أيضاً، وكمثال على ذلك نقرأ قوله على أحد ولاته هدية هي عبارة عن حلوى ملفوفة في وعاء فقال على الله احد ولاته هدية هي عبارة عن

المفاونة في وعائها، طارقٌ طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنتها (أي كرتها)، كأنما عجنت بريق حية أو قينها، فقلت: صلة أم زكاة أم صدقة؟ فللك محرم علينا أهل البيت،

فقال: لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول (وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد) عن دين الله أتيتني لتخدعني، أمختبط أنت أم ذو حِنّة أم تهجر (أي تهذي)

والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة. . أسلبها جلب (أي قشرة) شعيرة ما فعلته، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة، ما لعلتي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل، وقبيح الزلل، وبه نستعين.

وقصة النجاشي شاعر الإمام الذي طالما مدحه وهجا خصومه، والذي تعرض هو الآخر إلى الجلد بعد أن وجده الإمام مفطراً في رمضان وثملاً من السكر ليست بعيدة عن الأذهان.

كما أن الإمامﷺ قد حذّر من بعض القضاة الذين استغلوا مهنتهم لمآربهم الشخصية فقالﷺ:

«إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان:

رجلٌ وكله الله إلى نفسه، فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة، ودعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدى من كان قبله مضلٌّ لمن اقتدى به في حياته، وبعد وفاته حمّالُ خطايا غيره، رهن بخطيته.

ورجلٌ قمش جهالاً، مُوضعٌ (أي أمرع) في جهال الأمة عاد في إغباش الفتنة، عم بما في عقد الهدنة، قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به، بكر فاستكثر من جمع، ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من ماء آجن واكتنز من غير طائل، جلس بين القوم قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشهوات في مثل نسج العنكبوت؛ لا يدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب، جاهل خباط جهالات، عاش ركاب عشوات، لم يعض على العلم بضرس قاطع، يذري الروايات إذراء الريح الهشيم، لا ملىء \_ والله \_ بإصدار ما ورد عليه، ولا هو أهل لما فُوِّض إليه، لا يحسب العلم في شيء مما أنكره ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهباً لغيره، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدماء، وتعج منه المواريث. . وآخر قد تسمى عالماً وليس به، فاقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال. ونصب للناس أشراكاً من حبائل غرور، وقول زور، وقد حمل الكتاب (يريد القرآن الكريم) على آرائه، وعطف الحق على أهوائه، يقول: أقف عند الشبهات وفيها وقع، ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع».

فأولئك هم الذين: «المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم، وتعويلهم في المهمات على آرائهم، كأن كل امرىء منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات وألباب محكمات.

ووضع أسساً لمواصفات الفقيه، فقال:

«الفقيه، كل الفقيه، من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم

يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله».

تلك كانت قارئي العزيز إضمامة من أقوال الإمام علي بن أبي طالب في وصف «الحياة الاجتماعية» في زمانه تناول فيها الولاة والقضاة والعلماء، ومن خلالهم رسم منهجاً علمياً للقوانين الإدارية والسياسية والاقتصادية (والاجتماعية بصورة عامة) يصلح لكل زمان ومكان إلى يومنا هذا، فهو منهج تمخض عن توقد ذهن الإمام على الناقب ونظرته الشمولية إلى الحياة العامة.

فإذا كان ذلك لدى البعض لم يعرف إلا في عصور متأخرة (كما ادّهى أحدهم) فما ذنب الإمام الله وقد سبق عصره والعصور التي أعقبته، ولو أمعن النظر هذا (الأحدهم) في الحياة (الاجتماعية والإدارية والسياسية والاقتصادية) في عهود الخلفاء الراشدين الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان) لوجد أن الإمام علياً الله كان له الحضور الفاعل والمؤثر في مفاصل سياسة تلك المهود بل لم يستطع أي منهم تجاوزه في المشورة وحل المعضلات السياسية والإدارية والاقتصادية والقضائية، ولعل شهادة عمر بن الخطاب تغنينا عن كثير من الأدلة (البوتية) من أنه الله كان منقذ عمر من مطبات كثيرة؛ أليس هو القائل:

«لولا على لهلك عمر»؟

و«لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر»؟.

و«على أقضانا»؟.

و«لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن»؟.

ثم أليس هو من استشار الإمام ﷺ حين أراد الخروج بنفسه إلى غزو الروم فأشار عليه الإمام علي ﷺ بقوله:

"إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة (أي: عاصمة) يلجأون إليها، دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى، كنت رداء للناس ومثابة للمسلمين،

وعندما أراد عمر أن يشخص بنفسه لقتال الفرس استشار الإمام علياً ﷺ فأشار عليه:

إن هذا الأمر لم يكن نصره وخذلانه بكثرة ولا بقلة، وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعده وأمده، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده وناصر جنده، ومكان القيم بالأمر مكان النظام (أي السلك) من الخرز، يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً، والعرب اليوم، وإن كانوا قليلاً، فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع، فكن قطباً، واستدر الرحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض إنتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع ورادك من العورات أهم مما بين يديك.

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب فإن قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك، وطمعهم فيك، فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين، فإن الله سبحانه هو أكره لمسيوهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما ما ذكرت من عددهم، فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة».

تلك هي الشهادة التي لا يحتاجها الإمام ولكننا سقناها إلى أولئك الذين سلكوا في كتاباتهم «درب الصد ما رد» في تشكيكهم بنسبة ما في "نهج البلاغة" إلى الإمام على، ومنه هذه الفقرة التي نحن بصددها، علّهم يتلمسون طريق العودة من «دربهم» ذاك إلى جادة الصواب والحق. وعند ذاك لن يستكثروا على مثل الإمام على ١١٤ أن يصف الحياة الاجتماعية بمثل ما وصف لأنهم سيدركون أن عصر الإمام، وعهده في الحكم ـ خاصة - كان شديد الاضطراب \_ على قصره \_ وعهد تلك سمته لا بد أن تختلط فيه الأوراق كما «يختلط الحابل بالنابل» فتهتز نفوس وتضطرب أخرى وتُغرى ثالثة بمباهج الحياة الدنيا فيقصر النظر ويضيق الإدراك وتتقاصر البصيرة. . حينذاك لا بد من شخص يتمتع بقدرات ذهنية استثنائية ليعالج تلك التخلخلات والإنثلامات في المجتمع، فكان ذلك الشخص هو الإمام على الله وكانت معالجاته في تلك الخطب والأحاديث والوصايا والمراسلات التي ضمها «نهج البلاغة».

نهل ذلك كثير على الإمام على هذا الذي وصفه الرسول الكريم بأوصاف ما وصف مثله قط، وقد وقفنا على بعضها في كلام لنا فائت، فضلاً عن أقوال الخلفاء الراشدين فيه، بل حتى أقوال خصومه، كمعاوية وعمرو بن العاص وغيرهما. إن قليلاً من التروي في إلقاء الكلام سيجعل من صاحبه منصفاً ومتصفاً بالنزاهة والأمانة التاريخية.

نرجو أن يكون أولئك المشككون من هؤلاء الرجال \_ الذين وصفنا \_ يوماً ما إن كانوا أحياء وإن ماتوا فنرجو لهم غفراناً من ربًّ رحيم.



## الفهرس

7. (2. 1)

٩	لمبحث الأول: المشككون بنهج البلاغة
۲0	لمبحث الثاني: الرد على المشككين بنهج البلاغة
77	١ ـ جامع النهج
۳.	٢ _ الغثاثة
٤٣	٣ ـ عائدية نهج البلاغة
٥٥	أقوال المنصفين في «نهج البلاغة»
11	٤ ـ التعريض بالصحابة
٧١	٥ ـ الوصي والوصاية
۸۳	٦ ـ الإطناب والإيجار
۸٧	٧ ـ السجع
١	٨ ـ دقة الوصف٨

۱۰۸	 					 						_ الألفاظ الاصطلاحية
١١٠	 		 	-	-	 		-				١ _ التقسيمات العددية .
110	 						-					١ _ التنبؤات والتوقعات
۱۳۳	 	-						-				۱۱ ـ الزهد
120									ī	٥	١.	VI =   - II   1 - 1 - 1 - 1

